شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت

مخطوطة

إلجام العوام عن علم الكلام

المؤلِّف

أبو حامد الغزالي

كتاب الجام العوام عن علم الكلام للامام حجة الاسلام ابي حامد الغزالي رحمه الله تعالى
٣١٥٧
وقف لله تعالى لا يباع ولا يوهب ولا يورث

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ الامام الاجل السيد حجة الاسلام قدوة الامة امام الائمة
مقتدى الفريقين مدس الله روحه ونور ضريحه عن اخبار وايات
وردت عن الشارع وهي تشعر بالتشبيه والتجسم مثل خبر النزول
وخبر القدم والصورة واليد وآية الاستواء والفوق وغير ذلك فصنف
عند ذلك هذا الكتاب وسماه الجام العوام عن علم الكلام فاول
ما بدا به بالثناء على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقال الحمد لله
الذي تجلى لكافة عباده بصفاته واسمائه وتنزه عقول الطالبين في بيداء
كبريائه وقصر احنحة الافكار دون حمى عزته وتعالى بجلاله عن ان تدركه
الاوهام كنه حقيقته واستولى في قلوب اوليائه وخاصته واستغرق ارواحهم
حتى احترقوا بانوار مجده وبهتوا في اشراقات انوار عظمته وخرست السنتهم
عن الثناء على جمال حضرة الابهاء بما اسمعهم من اسمه وصفته وابناهم على
لسان رسوله محمد خير خليقته صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وعترته
اما بعد فقد سالتني ارشدنا الله وايك عن الاخبار الموهمة للتشبيه
عند الرعاع والجهال من الحشوية والضلال حيث اعتقدوا في الله تعالى
وفي صفاته ما يتعالى ويتقدس عنه من الصورة واليد والقدم والنزول و
الانتقال والجلوس على العرش والاستقرار وما يجري مجراها مما اخذوه
من ظواهر الاخبار وصورها وانهم زعموا ان معتقدهم فيه معتقد السلف
واردت ان اشرح لك معتقد السلف وان ابين ما يجب على العوام من
الخلق ان يعتقدوه في هذه الاخبار واكشف في الغطاء عن وابين

وقف لله تعالى لا يباع ولا يوهب ولا يورث

فيزيد صاحبه خشية وخوفا ورجاء وذلك يحول بينه وبين المعاصي الا الهفوات
التي لا ينفك عنها البشر في الفترات وذلك يدل على ضعف الايمان فالمؤمن مفتن
توّاب وهو بعيد عن الاصرار والاكباب فهذا ما اردت ان اذكره في ذم الفلسفة
والتعليم وافاته وافات من انكر عليهم لا بطريق قتل الله العظيم ان
يجعلنا ممن اثره واجتباه وارشد الى الحق وهداه والهمه ذكره حتى لا ينسأ
وعصمه من شر نفسه حتى لم يؤثر عليه سواه واستخلصه لنفسه حتى لم
يعبد الا اياه تمت الرسالة بعون الله والحمد لله على نعمه ومنه

ما يجب البحث عنه عما يجب الامساك والكف من الخوض فيه فاجبتك
الى طلبتك متقربا الى الله سبحانه باظهار الحق الصريح من غير مداهنة
ومراقبة جانب ومحافظة على تعصب المذهب دون مذهب فالحق اولى
بالمراقبة والصدق والانصاف اولى بالمحافظة عليه واسئل الله تعالى
التسديد والتوفيق وهو باجابة داعيه حقيق وها انا ارتب الكتاب
على ثلثة ابواب باب في بيان حقيقة مذهب السلف في هذه
الاخبار باب في البرهان على ان الحق فيه مذهب السلف وان
من خالفهم فهو مبتدع باب في فصول نافعة متفرقة في هذا
الفن الباب الاول في شرح اعتقاد السلف في هذه
الاخبار اعلم ان الحق الصريح الذي لا مرية فيه عند اهل البصائر هو مذهب
السلف اعني مذهب الصحابة والتابعين وها نحن نورد بيانه وتبيانه
وبرهانه فاقول حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا ان كل من
بلغه حديث من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة
امور التقديس ثم التصديق ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم
الكف ثم الامساك ثم التسليم لاهل المعرفة اما التقديس اعني به
تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها واما التصديق فهو الايمان
بما قاله صلى الله عليه وسلم وان ما ذكره حق وهو فيما قاله صادق وانه حق
على الوجه الذي قاله واراده واما الاعتراف بالعجز فهو ان يقر
بان معرفة مراده ليس في قدر طاقته وان ذلك ليس من شانه وحرفته
واما السكوت فان لا يسئل عن معناه ولا يخوض فيه ويعلم ان سؤاله

عنه

عنه بدعة وان خوضه فيه مخاطرة بدينه وانه يوشك ان يكفر لو
خاض فيه من حيث لا يشعر واما الامساك فان لا يتصرف في تلك
الالفاظ بالتصريف والتبديل بلغة اخرى والزيادة فيه والنقصان
منه والجمع والتفريق بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من
الايراد والاعراب والتصريف والصيغة واما الكف فان يكف باطنه
عن البحث عنه والتفكر فيه واما التسليم لاهله فان لا يعتقد ان ذلك
ان خفي عليه لعجزه فقد خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم او على
الانبياء والصديقين والاولياء فهذه سبعة وظايف اعتقدها كافة السلف
ووجوبها على كل العوام لا ينبغي ان يظن بالسلف الخلاف في شيء منها
فلنشرحها وظيفة وظيفة الوظيفة الاولى التقديس ومعناه
انه اذا سمع اليد والاصبع في قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خمر طينة
آدم بيده اربعين صباحا وان قلب المؤمن بين اصبعين من
اصابع الرحمن ينبغي ان يعلم ان اليد تطلق لمعنيين احدهما وهو الوضع
الاصلي هو عضو مركب من لحم وعظم وعصب واللحم والعظم والعصب
جسم مخصوص بصفات مخصوصة والجسم عبارة عن مقدار له طول
وعرض وعمق ومع غير من ان يوجد بحيث هو الا انه يتنحى عن ذلك
المكان وقد يستعار هذا اللفظ اعني اليد لمعنى اخر ليس ذلك المعنى بجسم
اصلا كما يقال البلدة في يد الامير فان ذلك مفهوم وان كان الامير مقطوع
اليد شلا فضلى العامي وغير العامي ان يتحقق قطعا ويقينا ان الرسول
صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك اللفظ جسما هو عضو مركب من لحم

ودم وعظم وان ذلك على الله محال وهو عنه مقدس فان خطر ببالك ان
الله تعالى جسم مركب من اعضاء فهو عابد صنم فان كل جسم فهو مخلوق
وعبادة المخلوق كفر وعبادة الصنم كان كفرا لانه مخلوق وكان مخلوقا
لانه جسم فمن عبد جسما فهو كافر باجماع الامة السلف منهم والخلف سواء
كان ذلك الجسم كثيفا كالجبال الصم الصلاب او لطيفا كالهواء والماء
وسواء كان مظلما كالارض او مشرقا كالشمس والقمر والكواكب او مشفا لا لون
له كالهواء او عظيما كالعرش والكرسي والسماء او صغيرا كالذرة او جمادا كا
لحجارة او حيوانا كالانسان فالجسم صنم وبان بقدر حسنه وجماله
او عظمه او صفاه او صلابته او بقاه لا يخرج عن كونه جسما ومن نفى
الجسمية عنه وعن يده واصبعه فقد نفى العضوية والعصب واللحم وقدس
الرب سبحانه عما يوجب الحدوث فليعلم بعد انه عبارة عن معنى من
المعاني ليس بجسم ولا عرض في جسم يليق ذلك المعنى بصفات الجلال
والكبرياء فان كان لا يدري ذلك المعنى ولا يفهم كنه حقيقته فليس عليه
في ذلك تكليف اصلا فمعرفة تاويله ومعناه ليس بواجب عليه بل واجب
عليه ان لا يخوض كما سيأتي **مثال آخر** اذا سمع الصورة من قوله ان الله
خلق آدم على صورته واني رأيت ربي في احسن صورة ينبغي ان يعلم ان
الصورة اسم مشترك قد يطلق ويراد به الهيئة الحاصلة في اجسام مؤلفة
مركبة مرتبة ترتيبا مخصوصا مثل الانف والعين والفم والخد التي هي
من اجسام هي لحوم وعظام وقد يطلق ويراد به ما ليس بجسم ولا هيئة
في جسم ولا هو ترتيب في اجسام كقولك عرفت صورة هذه المسئلة

وصورة

وصورة هذه الواقعة وان وزانة فلان وولايته منتظمة في احسن
صورة وما يجري مجراه فليتحقق كل مؤمن ان الصورة في حق الله تعالى
ما يطلق لارادة المعنى الاول الذي هو جسم لحمي وعظمي مركب من انف و — الثاني لا صح
فم وخد وعين فان جميع ذلك اجسام وهيئة في اجسام وخالق الاجسام
كلها منزه عن مشابهتها وصفاتها فاذا علم هذا يقينا فهو مؤمن فان
خطر له انه لم يرد هذا المعنى فما المعنى الذي اراده فينبغي ان يعلم ان ذلك
لم يؤمر به بل امر بان لا يخوض فيه فانه ليس على قدر طاقته لكن ينبغي ان
يعتقد انه اراد به معنى يليق بجلال الله وعظمته مما ليس بجسم ولا عرض
في جسم **مثال آخر** اذا قرع سمعه النزول من قوله ينزل الله كل ليلة
الى السماء الدنيا فالواجب عليه ان يعلم ان النزول اسم مشترك قد يطلق
اطلاقا يفتقر فيه الى ثلثة اجسام جسم عال هو مكان لساكنه وجسم
ساقل وجسم منتقل من العالي الى السافل فهو اذا عبارة عن انتقال
جسم من علو الى سفل فان كان من سفل الى علو يسمى صعودا وعروجا
ورقيا وقد يطلق على معنى آخر لا يفتقر فيه الى تقدير انتقال وحركة
في جسم كما قال تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وما راى البعير
ولا البقر نازلا من السماء بالانتقال بل هي مخلوقة في الارحام ولا ترى لها معنى
الا محالة وكما قال الشافعي رحمة الله عليه دخلت مصر فلم يفهموا كلامي
فنزلت ثم نزلت ولم يرد به انتقال جسده الى اسفل فليتحقق المؤمن
ان النزول في حق الله تعالى ليس بالمعنى الاول وهو انتقال شخص وجسد
من علو الى سفل فان الشخص والجسد للاجسام والرب ليس بجسم فان

لما لم يرد هذا فما الذي اراده فيقال له انت اذا عجزت عن فهم نزول
البعير من السماء فانت عن فهم نزول الله اعجز فليس هذا بعشك فادرج
واشتغل بعبادتك او حرفتك واسكت واعلم انه اريد به معنى من المعاني
التي يجوز ان مراد بالنزول في لغة العرب ويليق ذلك المعنى بجلال الله
وعظمته وان كنت لا تعلم حقيقته وكيفيته مثال اخر اذا سمع لفظ
الفوق من قوله وهو القاهر فوق عباده وفي قوله يخافون ربهم
من فوقهم فليعلم ان الفوق اسم مشترك يطلق لمعنيين احدهما
نسبة جسم الى جسم بان يكون احدهما اعلى والاخر اسفل يعني ان
الاعلى من جانب راس الاسفل وقد يطلق لهذا المعنى يقال الخليفة
فوق السلطان والسلطان فوق الوزير وكما يقال دخل فلان على الامير
وجلس فوق فلان وكما يقال العلم فوق العمل والصباغة فوق الدباغة
والاول يستدعي جسما حتى ينسب الى الجسم والثاني لا يستدعيه
فليعتقد المؤمن قطعا ان الاول غير مراد وانه على الله محال فانه
من لوازم الاجسام او لوازم اعراض الاجسام واذا عرف نفي
هذا المحال فلا عليه ان لم يعرف انه لماذا اطلق وماذا اريد به فقد
خفف الله هذه الكلف واشباه هذا كثيرة فقس على ما ذكرناه ما لم نذكره
الوظيفة الثانية الايمان والتصديق وهو ان يعلم قطعا ان
هذه الالفاظ اريد بها معان تليق بجلال الله تعالى فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم صادق في وصف الله تعالى به فليؤمن بذلك
وليوقن ان ما قاله صدق وما اخبر عنه حق لا ريب فيه وليقل امنا وصدقنا

فان

فان ما وصف الله به نفسه او وصفه به رسوله فهو كما وصفه وهو
حق بالمعنى الذي اراده وعلى الوجه الذي قاله وان كنت لا اقف على حقيقته
فان قلت التصديق انما يكون بعد التصور والايمان انما يكون بعد الفهم
فهذه الالفاظ اذا لم يفهم العبد معانيها كيف يعتقد صدق قايلها فيها
فجوابك ان التصديق بالامور الجلية ليس بمحال فكل عاقل يعلم انه اريد
بهذه الالفاظ معان وان كل اسم فله مسمى اذا نطق به من اراد مخاطبته
فهم قصد ذلك المسمى فيمكنه ان يعتقد كونه كاذبا مخبرا عنه على خلاف ما هو
عليه ويمكنه ان يعتقد كونه صادقا مخبرا عنه على ما هو عليه فهذا معقول
على سبيل الاجمال بل يمكن ان يفهم من هذه الالفاظ امور جلية غير مفصلة
ويمكن التصديق بالمجمل كما لو قال القابل في البيت حيوان امكن ان يصدق
دون ان يعرف انسان او فرس او غيره بل لو قال قايل فيه شيء امكن
تصديقه وان لم يعرف ما ذلك الشيء وكذلك من سمع الاستواء على العرش
فهم على الجملة انه اريد بذلك نسبة خاصة للعرش فيمكنه التصديق قبل
ان يعرف ان تلك النسبة هي نسبة الاستقرار عليه او الاقبال على خلقه وايجاده
او الاستيلاء عليه او معنى اخر من معاني النسبة فامكن التصديق به فان قلت
فلي فائدة في مخاطبة الخلق بما لا يفهمون فجوابك ان قصد بهذا الخطاب
تفهيم من هو اهله وهم الاولياء والراسخون من العلماء وقد فهموه و
ليس من شرط من يخاطب العقلاء بكلام ان يخاطبهم عما يفهم الصبيان
والعوام بالاضافة الى العارفين كالصبيان بالاضافة الى البالغين
ولكن على الصبيان ان يسألوا البالغين عما لم يفهموه وعلى البالغين

ان يحببوا الصبيان بان هذا ليس من شانكم ولستم من اهله فخوضوا
في حديث غيره فقد قيل للجهال فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
فاذا سئلوا اهل الذكر فان كانوا يطيقون فهم فهموهم والا قالوا لهم
ما اوتيتم من العلم الا قليلا فلا تشتغلوا عما اثنا ان تبتلكم تشوفكم وما
لكم ولهذا السؤال لهذه معاني الايمان بها واجب والكيفية مجهولة اي
مجهولة لكم والسؤال عنه بدعة كما قال مالك الاستواء معلوم والكيفية مجهولة
والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة فاذا الايمان بالجليات التي ليست مفصلة
في الذهن ممكن ولكن تقديس الذي هو نفي المحال عنه ينبغي ان يكون مفصلا
فان المنفي هي الجسمية ولوازمها ويعني بالجسم ههنا الشخص المقدر الطويل
العريض العميق الذي منع غيره ان يوجد معه بحيث هو الذي يدفع ما يطلب
مكانه ان كان قويا وينفع ويتنحى عن مكانه لقوم دافعة ان كان ضعيفا
وانما شرحنا هذا اللفظ مع ظهوره لان العامي ربما لا يفهم المراد به الوظيفة
الثالثة الاعتراف بالعجز ويجب على كل من لا يقف على كنه هذه المعاني و
حقيقتها ولم يعرف تاويلها والمعنى المراد بها ان يقر بالعجز فان الصدق
واجب وهو عن دركه عاجز فان ادعى المعرفة فقد كذب وهذا معنى قول
مالك الكيفية مجهولة يعني تفصيل المراد به غير معلوم بل الراسخون في العلم
والعارفون من الاولياء وان جاوزوا في المعرفة حدود العوام وجالوا في
ميدان المعرفة وقطعوا من بواديها اميالا كثيرة فما بقي لهم مما لم يبلغوه
وهو بين ايديهم اكثر بل لا نسبة لما طوى عنهم الى ما كشف لهم لكثرة المطوى
وقلة المكشوف بالاضافة اليه وبالاضافة الى المطوي المستور قال سيد الانبيا

صلوات

صلوات الله وسلامه عليه لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك و
بالاضافة الى المكشوف قال انا اعرفكم بالله واخوفكم منه ولاجل كون العجز
والقصور ضروريا في اخر الامر بالاضافة الى منتهى الكمال قال سيد الصديقين
العجز عن درك الادراك ادراك فاوائل حقايق هذه المعاني بالاضافة الى
عوام الخلق كاوائل حقايقها بالاضافة الى خواص الخلق فكيف لا يجب عليهم
الاعتراف بالعجز الوظيفة الرابعة السكوت عن السؤال وذلك واجب
على العوام لانه بالسؤال مستغرق لما لا يطيقه وخائض فيما ليس هو اهلا له فان
سئل جاهل ازاده جوابه جهلا ورعما ورطه في الكفر من حيث لا يشعر وان
سال عارف عجز العارف عن تفهيمه لقصور فهمه كعجز البالغ عن تفهيم ولده
الصبي مصالح بيته وتدبيره بل عن تفهيم مصلحته في خروجه الى المكتب بل عجز
الصايغ عن تفهيم النجار دقايق صياغته فان النجار وان كانا بصيرا بصناعته
فهو عاجز عن دقايق الصياغة لانه لما فهم دقايق النجر لاستغراقه العمر في تعلمه
وممارسته وكذلك يفهم الصياغة ايضا بصرف العمر الى تعلمه وممارسته وقبل
ذلك لا يفهمها لاشتغاله بالدنيا او بالعلوم التي ليست من قبيل معرفة الله
عاجزون عن معرفة الامور الالهية عجزا كافة المعرضين عن الصناعات عن
فهمها بل عجز الصبي الرضيع عن الاغتذاء بالخبز واللحم لقصور في فطرته
لا لعدم الخبز واللحم ولا لانه قاصر عن تغذيته الاقوياء لكن لمبلغ الضعف
قاصر عن التغذي به فمن اطعم الصبي الضعيف الخبز واللحم او مكنه
من تناوله فقد اهلك فكذلك العامي اذا طلب السؤال عن هذه المعاني
وجب زجرهم ومنعهم وضربهم بالتنزه كما كان يفعله عمر رضي الله عنه

بكل من سال عن الايات المتشابهة وكما فعل صلى الله عليه وسلم في الانكار
على قوم رآهم خاضوا في مسئلة القدر وسالوا عنه فقال ابهذا امرتم وقال
انما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال ولفظ هذا معناه كما اشتهر في
الخبر ولهذا قولنا يحرم على الوعاظ على رؤس المنابر الجواب عن هذه
الاسولة بالخوض في التاويل والتفصيل بل الواجب عليهم الاختصار على ما
ذكرناه وذكره السلف وهو المبالغة في التقديس والتنزيه ونفي التشبيه وانه
تعالى منزه عن الجسمية وعوارضها والمبالغة في هذا بما اراد حتى يقول
كلما خطر ببالكم وهجس في ضميركم وتصور في خاطركم فالله خالقه وهو
منزه عنه وعن شابهته وانه ليس المراد بالاخبار شيئ من ذلك وما هو
حقيقة المراد فاستم من اهل معرفته والسؤال عنه فاشتغلوا بالتقوى
وما امركم الله به فاتمتوه وما نهاكم عنه فاجتنبوه وهذا قد نهيتم عنه
فلا تسئلوا عنه ومهما سمعتم شيئا من ذلك فاسكتوا وقولوا امنا وصدقنا
وما اوتيتم من العلم الا قليلا وليس هذا من جملة ما اوتينا الوظيفة
الخامسة الامساك عن التصرف في الالفاظ الواردة ويجب على عموم الخلق
الجمود على الفاظ هذه الاخبار والامساك عن التصرف فيها من ستة اوجه
التفسير والتاويل والتصريف والتفريع والجمع والتفريق الاول التفسير
واعني به تبديل اللفظ بلغة اخرى يقوم مقامها في العربية او معناها
بالفارسية والتركية بل لا يجوز النطق الا باللفظ الوارد لان من الالفاظ العربية
ما لا يوجد لها فارسية يطابقها ومنها ما يوجد لها فارسية يطابقها
لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها للمعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها

ومنها

فيها ومنها ما يكون مشتركا في العربية ولا يكون في العجمية كذلك اما
الاول فمثاله لفظ الاستواء فانه ليس له في الفارسية لفظ مطابق
يودى بين الفرس المعنى الذى يودبر لفظ الاستواء بين العرب بحيث لا
يشتمل على مزيد ابهام اذ فارسيته ان يقال راست بايستاد وهذان لفظان
الاول ينبى عن انتصاب واستقامة فيما يتصوران يضنى ويعوج والثاني
ينبى عن سكوت وثبات فيما يتصوران يضطرب ويتحرك واشعاره بهذه
المعاني واشارته اليها في العجمية اظهر من اشعار لفظ الاستواء واشارته
اليها في فانقاوتا في الدلالة والاشعار لم يكن هذا مثل الاول فلا يجوز تبديل اللفظ
بمثله المرادف له الذى لا يخالطه وجه من الوجوه لا بما يباينه ويخالفه بادنى
شئ وادق واخفاه ومثال الثاني ان الاصبع يستعار في لسان العرب للنعمة
يقال لفلان عندفلان اصبع اى نعمة ومعناه انكشت وما جرت عادة العجم
بهذه الاستعارة وتوسع العرب في التجوز والاستعارة اكثر من توسع العجم
بل الانسبة لتوسع العرب الى جمود العجم فاذا حسن ارادة المعنى المستعار
له في العرب وسمح ذلك في العجم نفر القلب عما سمح ويجر السمع ولم يميل اليه
فاذا تفاوتا ولم يكن التفسير تبديلا بالمثل بل بالخلاف ولا يجوز التبديل
الا بالمثل ومثال الثالث لفظ العين فان من فسّر فانما يفسّره بأظهر
معانيه فيقول بالفارسية چشم وهو مشترك في لغة العرب بين العضو
الباصر وعين الماء والذهب والشمس وليس للفظ چشم هذا الاشتراك
وكذلك لفظ الجنب والوجه يقرب عنه ولاجل هذا ترى المنع من التبديل
والاقتصار على العربية فان قيل هذا التفاوت ان ادعيتموه في جميع الالفاظ

فهو غير صحيح اذ لا فرق بين بين قولك خبز ونات وبين قولك لحم
وكوشت وان اعترفت بان ذلك في البعض فامنع من التبديل عند التفاوت
لا عند التماثل فالجواب ان هنا التفاوت في البعض لا في الكل فلعل لفظ اليد
ولفظ دست يتساويان في اللغتين في الاشتراك والاستعارة وسائر الامور
لكن اذا انقسم الى ما يجوز والى ما لا يجوز وليس ادراك التميز بينهما والوقوف
على دقايق التفاوت جليا سهلا يسيرا على كافة الخلق بل يكثر فيه الاشكال
ولا يتميز محل التفاوت عن محل التعادل فنحن بين ان نحسم الباب احتياطا
اذ الحاجة ولا ضرورة الى التبديل وبين ان يفتح الباب ونقحم عموم الخلق و
ورطة الخطر فليت شعري اي الامرين احزم واحوط والمتصرف فيه ذات
الاله وصفاته وما عند كل عاقل متدين لا يقر بان هذا الامر مخطر وان
الخطر في الصفات الالهية يجب اجتنابه كيف وقد اوجب الشرع على الموطوءة
بشبهة وغيرها العدة لبراءة الرحم والحذر من خلط الانساب احتياطا كلم
الولاية والوراثة وما يترتب على النسب فقالوا مع ذلك يجب العدة على العقيم
والآيسة والصغيرة وهذا العمل لان باطن الارحام انما يطلع عليها علام الغيوب
فانه يعلم ما في الارحام فلو فتحنا باب النظر الى التفصيل كنا كاتبين متى
الخطر فايجاب العدة حيث لا علوق اهون من ركوب هذا الخطر فكان ايجاب
العدة حكم شرعي فتخير لم تبديل العربية حكم شرعي يثبت بالاجتهاد وترجيح
طريق الاولى ويعلم ان هذا الاحتياط في الخبر عن الله وصفاته وعما
اراده بالفاظ القرآن اهم واولى من الاحتياط في العدة ومن كل ما احتاط الفقها
فيه من هذا القبيل فما التصرف الثاني التاويل وهو بيان معناه بعد ان الظاهر

وهذا

وهذا ما يقع من العامي بنفسه او من العارف مع نفسه بينه وبين الله
تعالى فهذه ثلثة مواضع الاول تاويل العامي على سبيل الاستقلال بنفسه و
هو حرام يشبه خوض البحر المغرق ممن لا يحسن السباحة ولا يشك في تحريمه
وبحر معرفة الله ابعد غورا واكثر مخاطيا ومهالك من بحر الماء لان هلاك
هذا البحر لا حياة بعده وهلاك بحر الدنيا الحياة الزايلة وذلك يزيل الحيوة
الابدية فشتان بين الخطرين الموضع الثاني ان يكون ذلك من العالم
مع العامي وهو ايضا ممنوع ومثاله ان بحر السباح الغواص مع نفسه عاجز
عن السباحة مضطرب القلب والبدن وذلك حرام لانه عرض لخطر الهلاك
فانه لا يقوى على حفظ في لجة البحر وان قدر على حفظه في القرب من الساحل
لا يطيقه وان امر بالسكوت عند التطام الامواج واقبال التماسيح وقد
فغرت فاها للالتقام اضطرب قلبه وبدنه ولم يسكن على حسب مراده
لغصور طاقته وهذا هو المثال الاحق للعالم اذ افتح باب التاويلات للعامي
والتصرف في خلاق الظواهر وفي معنى العوام الاديب والنحوي والمحدث
والمفسر والفقيه والمتكلم بل كل عالم سوى المتجردين لتعلم السباحة في بحار
المعرفة القاصرين اعمارهم عليه الصادقين وجوههم عن الدنيا والشهوات
المعرضين عن الجاه والمال والخلق وسائر اللذات المخلصين لله تعالى
في العلوم والاعمال القايمين بجميع حدود الشريعة وآدابها في القيام
بالطاعات وترك المنكرات المقرين قلوبهم بالجملة عن غير الله تعالى
المستحقرين للدنيا بل للاخرة والفردوس الاعلى في جنب محبة الله تعالى
فهؤلاء هم اهل الغوص في بحر المعرفة وهم مع ذلك كله على خطر عظيم يهلك

من العشرة ستعة الان يسعد واحدهم بالمدد المكنون والسر المخزون
اولئك الذين سبقت لهم منا الحسنى وهم الفائزون وربما اعلم بما تكن
صدورهم وما يعلنون الموضع الثالث تاويل العارف مع نفسه فى سر قلبه
بينه وبين ربه وهو على ثلثة اوجه فان الذى انفتح فى سره انه المراد
من لفظ الاستواء والنزول مثلا اما ان يكون مقطوعا به او مشكوكا فيه
او مظنونا ظنا غالبا فان كان قطعيا فليعتقد وان كان مشكوكا
فليجتنبه ولا يحكم على مراد الله ومراد رسوله من كلامه بالحتمال يعارضه
مثله من غير ترجيح بل الواجب على الشاك التوقف وان كان مظنونا فاعلم
ان للظن متعلقين احدهما ان المعنى الذى انفتح عنده هل هو جايز فى
حق الله ام هو محال والثانى ان يعلم قطعا جوازه لكن تردد فى انه هل هو مراد
باللفظ ام لا مثاله تاويل لفظ الفوق بالعلو المعنوى الذى هو المراد بقولنا
السلطان فوق الوزير فانا لا نشك فى ثبوت معناه لله لكنا ربما نتردد
فى ان لفظ الفوق فى قولنا فوق رؤسهم من فوقهم هل اريد به العلو المعنوى
ام اريد به معنى اخر يليق بجلال الله دون العلو المكانى الذى هو محال على ما
ليس بجسم ولا هو صفة فى جسم ومثال الثانى تاويل لفظ الاستواء على
العرش بان اراد به النسبة الخاصة التى للعرش وبسببها ان الله يتصرف فى جميع العالم
ويدبر الامر من السماء الى الارض بواسطة العرش فانه لا يحدث فى العالم
صورة ما لم يحدث فى العرش كما لا يحدث النقاش والكاتب صورة وكلمة
على البياض ما لم يحدث فى الدماغ بل لا يحدث البناء صورة البناء ما لم يحدث
صورة فى الدماغ ثم بواسطة الدماغ يدبر القلب امر عالمه الذى هو بدنه

فربما

فربما يتردد فى ان اثبات هذه النسبة للعرش الى الله تعالى هل هو جايز
اما ان لوجوبه فى نفسه واما على سبيل ان يقال اجرى به سنته وعادته
وان لم يكن خلافه محالا كما اجرى عادته فى حق قلب الانسان بان لا يمكنه
من التدبير الا بواسطة الدماغ وان كان فى قدرة الله تمكينه منه دون
الدماغ لو سبقت به ارادته الازلية وحقت به كلمته القديمة التى هى علمه فصار
خلافه ممتنعا لا لقصور فى ذات القدرة لكن لاستحالة ما يخالف الارادة القديمة
والعلم السابق الازلى ولذلك قالوا لن تجد لسنة الله تبديلا واما لا
يتبدل لوجوبها واما وجوبها لصدورها عن ارادة ازلية واجبة ونتيجة
الواجب واجبة ونقيضه محال وان لم يكن محالا فى ذاته ولكنه محال لغيره وهو
افضاؤه الى ان ينقلب العلم الازلى جهلا ويمتنع نفوذ المشية الازلية فاذا
اثبات هذه النسبة لله تعالى مع العرش فى تدبير الملك بواسطته ان كان
جايزا عقلا فهو واقع وجوده هذا ما قد يتردد فيه الناظرون وربما يظن
وجوده هذا مثالا للظن فى نفس المعنى والاول مثالا للظن فى كون المعنى
مرادا اللفظ مع كون المعنى فى نفسه صحيحا جايزا وبينهما فرق ان لكن كل واحد
من الظنين اذا انفتح فى النفس وحاك فى الصدر فلا يدخل تحت الاختيار
ودفعه عن النفس ولا يمكنه ان لا يظن فان للظن اسبابا ضرورية لا يمكن دفعها
ولا يكلف الله نفسا الا وسعها لكن عليه وظيفتان احداهما ان لا يدع نفسه تطمئن
اليه جزما من غير شعور بامكان الغلط فيه فلا ينبغى ان يحكم مع نفسه لموجب
ظنه حكما جازما والثانية انه ان ذكر لم يطلق القول بان المراد بالاستواء كذا او
المراد بالفوق كذا لانه حكم بما لا يعلم وقد قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم

كمن يقول انا اظن كذا فيكون صادقا في خبره عن نفسه وعن ضميره ولا يكون
حكما على صفات الله ولا على مراده بكلامه بل حكما على نفسه ونبأ عن ضمير
فان قيل وهل يجوز ذكر هذا الظن مع كافة الخلق والتحدث به كما اشتمل عليه
ضميره وكذلك لو كان قاطعا فهل له ان يتحدث به قلنا تحدثه به انما يكون
على اربعة اوجه فاما ان يكون مع نفسه او مع من هو مثله في الاستبصار
او مع من هو مستعد للاستبصار به كالولد وفطنته وبجرده لطلب معرفة الله
او مع العامي فان كان قاطعا فله ان يحدث نفسه به ويحدث من هو مثله
في الاستبصار او من هو مجرد لطلب المعرفة مستعد لها خال عن الميل
الى الدنيا والشهوات والتعصبات للمذاهب وطلب المباهات بالمعارف
والتظاهر بذكرها مع العوام فلا بأس بالتحدث
معه لان الفطن المتعطش الى المعرفة للغرض الصحيح في صدور
اشكال الظواهر وما يلقيه في تأويلات فاسدة لشدة شرهه عن الفرار
عن مقتضى الظواهر ومنع العلم اهله ظلم كبتة الى غير اهله واما العامي
فالذي ينبغي ان يحدث به وفي معنى العامي كل من لا يتصف بالصفات المذكورة
بل مثاله ما ذكرناه من اطعام الرضيع الاطعمة القوية التي لا يطيقها واما
المظنون فانه يحدثه مع نفسه اضطرارا فان ما ينطوي عليه الذهن من ظن
وشك وقطع لا تزال النفس تحدث به ولا قدرة على الخلاص منه ولا منع منه
فالشك في منع التحدث به مع العوام بل هو اولى بالمنع من المقطوع اما تحدثه
به مع من هو في درجته في المعرفة او مع المستعد فيه نظر فيحتمل ان يقال هو
جايز اذا لم يزد على ان يقول اظن كذا وهو صادق ويحتمل المنع لانه قادر على

تركه

تركه وهو بذكره متصرف بالظن في صفة الله او في مراده من كلام وفيه
خطر وابا حته تعرف بنص او اجماع او قياس على منصوص ولم يرد شيء من
ذلك بل ورد قوله ولا تقف ما ليس لك به علم فان قيل فما الدليل على الجواز قلنا امور
الاول الدليل الذي دل على اباحة الصدق وهو صادق فانه ليس يخبر الا عن
ظنه وهو ظاهر الثاني اقاويل المفسرين في القرآن بالحدس والظن اذ كلما
قالوا غير مسموع من الرسول صلى الله عليه وسلم بل هو مستنبط بالاجتهاد
ولذلك كثرت الاقاويل وتعارضت والثالث اجماع التابعين على نقل
الاخبار المتشابهة التي نقلها احاد الصحابة ولم يتواتر وما اشتمل على الصحاح
الذي نقله العدل عن العدل فانهم جوزوا روايته ولا يحصل بقول العدل
الا الظن فالجواب عن الاول ان المباح صدق لا يخشى فيه ضرر وبت هذه
الظنون لا تخلو عن ضرر فقد يسمعه من يسكن اليه ويعتقده جزما فيحكم
في صفات الله تعالى بغير علم وهو خطر والنفوس نافرة عن اشكال الظواهر
فاذا وجدت مستروحا من المعنى ولو مظنونا سكنت اليه واعتقدته جزما
وربما يكون غلطا فيكون قد اعتقد في صفات الله ما هو باطل وحكم عليه
في كلامه بما لم يرد به واما الثاني فهو اقاويل المفسرين بالظن فلا نسلم ذلك
بل هو من صفات الله كالاستواء والعرش وغيره بل لعل ذلك في الاحكام الفقهية
او في حكايات احوال الانبياء والكفار والمواعظ والامثال مما لا يعظم خطر
الخطأ فيه واما الثالث فقد قالوا لا يجوز ان يعتمد في هذا الباب الا على
ما ورد في القرآن او تواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم تواترا يفيد
العلم فاما الاخبار الاحاد فلا يقبل فيه ولا يشتغل بتأويله عند من يميل الى التأويل

والا برواية عند من يقتصر على الرواية لان ذلك حكم بالظنون واعتماد عليه وما
ذكروه ليس ببعيد لكنه مخالف لظاهر ما درج عليه السلام فانهم قبلوا هذه
الاخبار من العدول ورووها وصححوها فالجواب من وجهين احدهما ان
التابعين كانوا قد عرفوا من ادلة الشرع انه لا يجوز اتهام العدل بالكذب لا سيما
في صفات الله تعالى فاذا روى الصديق رضي الله عنه خبرا وقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا فرد روايته وهو تكذيب له ونسبته الى
الوضع او الى السهو فقبلوه وقالوا قال ابو بكر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا في تابعي التابعين
فالات اذا ثبت عندهم بادلة الشرع انه لا سبيل الى اتهام العدل التقى من
الصحابة فمن اين يجب ان ياتيهم ظنون الاحاد وان يتزلها الظن منزلة تقل
العدل مع ان بعض الظن اثم فاذا قال الشارع ما اخبركم به العدل فصدقوه و
انقلوه واظهروه فما يلزم من هذا ان يقال ما حدثتكم به نفوسكم من
ظنونكم فاقبلوه واظهروه وارووا عن ظنونكم وضمايركم ونفوسكم
ما قالته فليس هذا في معنى المنصوص وهذا نقول ما رواه غير العدل من هذا
الجنس ينبغي ان يعرض عنه ولا يروى ويحتاط فيه اكثر مما يحتاط في المواعظ
والامثال وما يجري مجراه الجواب الثاني ان تلك الاخبار رواها الصحابة
لانهم سمعوه يقينا فما نقلوا الا ما تيقنوا والتابعون قبلوه ورووه
وما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا بل قالوا قال فلان قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكانوا صادقين وما اهملوا روايته
لاشتمال كل حديث على فوايد سوى اللفظ الموهم ولافادة اللفظ الموهم

عند

عند العارف معنى حقيقيا يفهم منه ليس ذلك ظنيا في حقه مثاله رواية
الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ينزل
الله كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول هل من داع فاجيب هل من مستغفر
فاغفر له الحديث فهذا الحديث سيق لنهاية الترغيب في قيام الليل
وله تاثير عظيم في تحريك الدواعي للتهجد الذي هو افضل العبادات فلو ترك
هذا الحديث لبطلت هذه الفايدة العظيمة ولا سبيل الى الغائها ولسنا في هذا الا ايهام
لفظ النزول عند الصبي او عند العامي الجاري مجرى الصبي وما اهون على
البصير ان يغرس في قلب العامي التنزيه والتقديس عن صورة النزول
بان يقول له ان كان نزوله الى سماء الدنيا ليسمع نداءه وقوله فاسمعنا فاي
فائدة في نزوله ولقد كان يمكنه ان يناديا كذلك وهو على العرش او السماء
الاعلى فهذا القدر يعرفه العامي ان ظاهر النزول باطل بل مثاله ان يريد من
في المشرق اسماع شخص في المغرب ومناداته فيقدم الى جهة المغرب باقدام
معدودة واخذ في نداءه وهو يعلم انه لا يسمعه فيكون نقله الاقدام عملا
باطلا وفعلا كفعل المجانين فكيف يستقر مثل هذا في قلب عاقل بل يضطر
بهذا القدر كل عامي الى ان يتيقن نفي صورة النزول وكيف وقد علم استحالة
الجسمية عليه واستحالة الانتقال على غير الاجسام واستحالة النزول من غير
انتقال فاذا الفائدة في نقل هذه الاخبار عظيمة والضرر يسير فاني يساوي
هذا حكاية الظنون المنقدحة في الانفس فهذه سبيل تجاذب طرفا الاجتهاد
في اباحة ذكر التاويل المظنون او المنع ولا يبعد ذكر وجه ثالث وهو ان ينظر
الى قرائن حال السايل والمستمع فان علم ان ينتفع بذكره وان علم انه يتضرر

بر تركه وان ظن احد الامرين كان ظنه كالعلم في اباحة الذكر وكم من
انسان لا يتحرك باطنه الى معرفة هذه المعاني ولا يحيك في نفسه اشكال
من ظواهرها فذكر التاويل معرشوش وكم من انسان يحيك في نفسه
اشكال الظاهر حتى يكاد ان يسيء اعتقاده في الرسول صلوات الله وسلامه
عليه وينكر قوله الموهم فمثل هذا لو ذكر معه الاحتمال المظنون بل مجرد الاحتمال
الذي لا ينبو عنه اللفظ انتفع به فلا باس بذكره معه فانه دواء لداء وان كان
واقعا في حق غيره ولكن لا ينبغي ان يذكر على رؤس المنابر لان ذلك يجر الدواعي
الساكنة من اكثر المستمعين وقد كانوا عنه غافلين وعن اشكاله منفكين
ولما كان زمان السلف الاول زمان سكون القلوب بالغوا في الكف عن
التاويل خيفة من تحريك الدواعي وتشويش القلوب فمن خالفهم
في ذلك الزمان فهو الذي حرك الفتنة والقى هذه الشكوك في القلوب
مع الاستغناء عنه فلذلك ما الان فقد فشى ذكره في بعض البلاد
فالعذر في اظهار شيء من ذلك رجلا ما طة الاوهام الباطلة عن
القلوب اظهر واللوم على قليل اقل فان قيل فقد فرقتم بين التاويل
المقطوع والمظنون فما اذا يحصل القطع بصحة التاويل قلنا بامرين احدهما
ان يكون المعنى مقطوعا بثبوته لله تعالى كفوقية المرتبة والثاني ان لا
يكون اللفظ الا محتملا لامرين وقد بطل احدهما وتعين الثاني مثاله
قوله وهو القاهر فوق عباده فانه ان ظهر في وضع اللسان ان الفوق
لا يحتمل الا فوقية المكان او فوقية المرتبة وقد بطل فوقية المكان لمعرفة
التقديس لم يبق الا فوقية المرتبة كما يقال السيد فوق العبد والزوج فوق

الزوجة والسلطان فوق الوزير والله فوق عباده بهذا المعنى وهذا المقطوع
به في لفظ الفوق وانه لا يستعمل في لسان العرب الا من هذين المعنيين اما
لفظ الاستواء الى السماء وعلى العرش فربما لا ينحصر مهموم في اللغة هذا
الانحصار واذا تردد بين ثلثة معان معنيان جايزان على الله سبحانه و
في معنى واحد هو الباطل فتنزيله على احد المعنيين الجايزين يكون با
لظن او بالاحتمال المجرد وهذا تمام النظر في الكف عن التاويل والخوض
فيه المقرفة الثالث الذي يجب الامساك عنه التعريف ومعناه اذا ورد
قوله استوى فلا ينبغي ان يقال مستوى ويستوي لان المعنى يجوز ان يختلف
لان دلالة قوله هو مستوى على العرش على الاستقرار اظهر من قولنا رفع السموات
بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش بل هو كقوله خلق لكم ما في الارض
جميعا ثم استوى الى السماء فان هذا يدل على استواء قد انقضى من اقبال على
خلقه وعلى تدبير المملكة بواسطته ففي تغيير التصاريف ما يؤثر في تغيير
الدلالات والاحتمالات فيجتنب التصريف كما يجتنب الزيادة فان تحت
التصريف نقصان وزيادة التصرف الرابع الذي يجب الامساك عنه القياس
والتفريع مثاله ورد لفظ اليد فلا يجوز اثبات الساعد والكف والاصبع
نظرا الى ان هذا من لوازم اليد واذا ورد الاصبع لم يجز ذكر الانملة كما لا
يجوز ذكر الجسم واللحم والعصب وان كانه اليد المشهودة لا تنفك عنه
وابعد من هذا لزيادة اثبات الرجل عند ورود السمع والبصر واثبات
الفم عند ورود العين او عند ورود الضحك واثبات اللذة والعيب
عند ورود السمع والبصر وكل ذلك محال وكذب وزيادة وقد يتجاسر عليه

بعض الحمقى من الحشوية والمشبهة فلذلك ما ذكرناه التصرف الخامل الجمع بين
المتفرقين فلقد بعد عن التوفيق من صنف كتابا في جميع هذه الاخبار خاصة
ورسم في كل عضو بابا فقال باب في اثبات الراس وباب في اثبات العين
وباب في اثبات اليد الى غير ذلك فان هذه كلمات متفرقة صدرت من رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اوقات متفرقة متباعدة اعتمادا على قرائن مختلفة
يفهم السامعين معاني صحيحة فاذا ذكرت مجموعة على مثال خلق الانسان
صار جميع تلك المتفرقات في السمع دفعة واحدة قرينة عظيمة وتاكيد الظاهر
وافهام التشبيه وصار الاشكال فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينطق بما
يوهم خلافا لحقا عظيما في النفس واوقع بالكلمة الواحدة المفردة يتطرق
اليها الاحتمال فاذا اتصل بها ثانية وثالثة ورابعة وخامسة من جنسها
وصار متواترا ضعف الاحتمال بالاضافة الى الجملة وكذلك يحصل من الظن بقول
مخبرين وثلثة ما لا يحصل بقول الواحد بل يحصل من العلم القطعي بخبر التواتر
ما لا يحصل بالاحاد ويحصل من العلم القطعي باجتماع القرائن ما لا يحصل بالآحاد
وكذلك نتيجة الاجتماع اذ يتطرق الاحتمال الى قول كل عدل والى كل واحدة
من القرائن فاذا اجتمع انقطع الاحتمال او ضعف فلذلك لا يجوز جمع المتفرقات
التفرقة السادسة التفريق بين المجتمعات فكما لا يجمع بين متفرقة لا يفرق
بين مجتمعة فان كل كلمة سابقة على كلمة او لاحقة لها مؤثرة في تفهيم معناه
ومن حيث للاحتمال الضعيف غير فاذا فرقت وفصلت سقطت دلالتها
مثاله قوله وهو القاهر فوق عباده لا يسعه على ان يقول القائل هو فوق
مطلقا لانه انما ذكر القاهر فتبين ظهر دلالة الفوق على الفوقية التي للقاهر

مع القهر وهي فوقية الرتبة ولفظ القاهر يدل عليه بل لا يجوز ان يقول
وهو القاهر فوق غيره بل ينبغي ان يقول فوق عباده لان ذكر العبودية في وصفه
من الله فوقه يؤكد احتمال فوقية السيادة اذ يحسن ان يقول السيد فوق
عبده وان كان لا يحسن ان يقول زيد فوق عمرو قبل ان يبين تفاوتهما
في معنى السيادة والعبودية او غلبة القهر ونفوذ الامر بالسلطنة او بالولاية
او بالزوجية فهذه دقايق يغفل عنها العلماء فضلا عن العوام فكيف يسلط العوام
وبمثل ذلك على التصرف بالجمع والتفريق والتاويل والتفسير وانواع التغيير و
لاجل هذه الدقايق بالغ السلف في الجمود والاقتصار على موارد التوقيف كما
ورد وعلى الوجه الذي ورد وباللفظ الذي ورد والحق ما قالوه والصواب
ما اداوه فاعلم المواضع بالاحتياط ما هو متفرق في ذات الله تعالى وصفاته واحق
المواضع بامساك اللسان وتقييده عن الجريان ما يعظم فيه الخطر واي خطر
اعظم من الكفر الوظيفة السادسة في الكف بعد الامساك واعني
بالكف كف القلب عن التفكر في هذه الامور فذلك واجب عليه كما
وجب عليه امساك اللسان عن السؤال والتصرف وهذا اثقل الوظايف و
اشدها وهو واجب كما وجب على العاجز من ان لا يخوض غمرة البحر وان
كان يتقاضاه طبعه ان يغوص في البحر ويخرج درها وجواهرها ولكن لا ينبغي
ان يغره نفاسة جواهرها مع عجزه عن بلوغها بل ينبغي ان ينظر الى عجزه وكثرة
معاليها ومهالكها ويتفكر انه ان فاته نفايس البحر فاته الازيادات
وتوسعات في المعيشة وهو مستغن عنها وان غرق او التقمه تمساح فاته
اصل الحيوة فان قلت ان لم يتصرف قلبه عن التفكر والتشوف الى البحث فما

طريقه قلت طريقه ان يشغل نفسه بعبادة الله سبحانه وبالصلوة و
بقراءة القران والذكر فان لم يقدر فبعلم اخر اليق بهذا الجنس من لغة او
نحو او حساب او طب او فقه فان لم يمكنه فبحرفة وصناعة ولو الحراثة او
الحياكة فان لم يقدر فبلعب ولهو فان لم يقدر فبحديث نفسه هو القيمة
والحشر والحساب فكل ذلك خير له من الخوض في هذا البحر البعيد عمقه
العظيم خطره وضرره بل لو اشتغل العامي بالمعاصي البدنية زنا كان اسلم له
من ان يخوض في البحث عن معرفة الله فان ذلك عاقبته الفسق وهذا عاقبته الشرك
وان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فان قلت
العامي اذا لم يسكن نفسه الا الاعتقادات الدينية الا بدليل فهل يجوز ان
يذكر له الدليل فان جوزت ذلك فقد خصصت لم قلت الفكر والنظر واي فرق بين
هذا النظر وبين غيره وان منعت فكيف تمنعه ولا يتم ايمانه الا به الجواب اني
اجوز له ان يسمع الدليل على معرفة الخالق ووحدانيته وعلى صدق الرسول صلى الله
عليه وسلم وعلى اليوم الاخر ولكن بشرطين احدهما ان لا يزاد معه على الادلة التي
في القران والثاني ان لا يباري فيه الامر اظاهرا ولا يتفكر فيه الا تفكرا سهلا
جليا ولا يمعن في التفكر ولا يوغل غاية الايغال في البحث وادلة هذه الامور الاربعة
ما ذكر في القران اما الدليل على معرفة الخالق مثل قوله قل من يرزقكم من
السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله وقوله افلم ينظروا الى السماء
فوقهم كيف بنيناها وزينا ها وما لها من فروج والارض مددناها
والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل

عبد

عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد
والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وكقوله فلينظر الانسان الى طعامه
انا صببنا الماء الى قوله متاعا لكم ولانعامكم وقوله الم نجعل الارض مهادا
الى قوله وجنات الفافا واشتمال ذلك قريب من خمسمائة اية جمعتها
في جواهر القران لانه ينبغي ان يعرف الخلق جلال الخالق وعظمته لا بقول
المتكلمين ان الاعراض حادثة وان الجواهر لا تخلو عن الاعراض الحادثة وما لا يخلو
عن الاعراض الحادثة فهو حادث ثم الحادث يفتقر الى محدث فان ذكر تلك التقسيمات
والمقدمات واثباتها بادلتها الرسمية تشوش قلوب العوام والادلة الظاهرة
القريبة من الافهام على ما في القران تقنعهم وتسكن نفوسهم وتغرس في قلوبهم
الاعتقادات الجازمة واما الدليل على الوحدانية فليقنع بما في القران من قوله
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وان اجتماع المريدين سبب فساد التدبير ومثل
قوله لو كان معه الهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا وقوله ما اتخذ الله من
ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض واما
صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فليستدل بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن
الى قوله ظهيرا او قوله قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وامثاله واما اليوم
الاخر فيستدل عليه بقوله قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي
انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم وبقوله ايحسب الانسان ان يترك سدى
الى قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى وبقوله يا ايها الناس ان كنتم في ريب
من البعث الى قوله قدير وامثال ذلك كثير في القران فلا ينبغي ان يزاد عليه فان
قيل فهذه هي الادلة التي اعتمدها المتكلمون وقرروا وجه دلالتها فما بالهم

لمنعون عن تقرير هذه الادلة ولا يمنعون عنها وكذلك مدرك بنظر العقل
وتامله فان فتح للعامي باب النظر فليفتح مطلقا او يسد طريق النظر راسا و
لتكلف التقليد من غير دليل فالجواب وبالله التوفيق ان الادلة تنقسم الى
يحتاج فيها الى تفكر وتدقيق خارج عن طاقة العامي وقدرته والى ما هو جلي سابق
الى الافهام ببادي الراي واول النظر بل يشترك كافة الناس في درك فيما يدركه
كافة الناس بسهولة لا خطر فيه وما يفتقر الى التدقيق فليس على احد وسعه
فادلة القران مثل القران ينتفع به كل انسان وادلة المتكلمين مثل الدوا
ينتفع به الاحاد ويستضر به الاكثرون بل ادلة القران كالماء الذي ينتفع
به الصبي الرضيع والرجل القوي وسايل الادلة كالاطعمة التي ينتفع بها الاقوياء
مرة ومرضون بها اخرى ولا ينتفع بها الصبي اصلا وهنا قلنا ادلة القران
ايضا ينبغي ان يصغى اليها اصغاء الى الكلام جلي ولا يماري في الامر الواضح ظاهرا
ولا يكلف نفسه تدقيق الفكر وتحقيق النظر فمن الجلي ان من قدر على
الابتداء قدر على الاعادة اقدر كما قال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو
اهون عليه وان التدبير لا ينتظم في دار واحد تدبيرين فكيف ينتظم
في كلية العالم وان من خلق علم كما قال تعالى الا يعلم خلق هذه الادلة
تجري للعوام مجرى الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي وما اصدته المتكلمون وراء
ذلك من سبر وسؤال وتوجيه اشكال ثم اشتغال بجدله فهو بدعة وضرر
في حق عموم الخلق ظاهر فهو الذي ينبغي ان يتوقى والدليل على تضرر الخلق به
المشاهدة والتجربة وما بادء من الفتن بين الخلق منذ نبغ المتكلمون وفشا
صناعة الكلام مع سلامة العصر الاول من الصحابة عن مثل ذلك ويدل عليه

ايضا

ايضا ان الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة باجمعهم ما سلكوا في الحاجة
مسلك المتكلمين في تقسيماتهم وتدقيقاتهم لا لعجز منهم عن ذلك فلو علموا ان ذلك
نافع لاطنبوا فيه وخاضوا في تحرير الادلة خوضا يزيد على خوضهم في مسايل
الفرايض فان قيل انما امسكوا عنه لعدم الحاجة فان البدع انما نبغت بعدهم
فعظمت حاجة المتاخرين اليه وعلى الكلام راجع الى العلم معالجة المرضى بالبدع
فلما قلت في زماننا لعرام البدع قلت عذرتهم بجمع طرق المعالجة فالجواب
من وجهين احدهما انهم في مسايل الفرايض ما اقتصروا على بيان حكم الوقايع بل
وضعوا المسايل وفرضوا فيها ما يقضي الدهور ولا يقع مثلها الا بعد ذلك مما
امكن وقوعه فضنفوا عليه وربتوه قبل وقوعه اذ علموا انه لا حرز في الخوض
فيه وفي بيان حكم الواقعة قبل وقوعها والعناية بازالة البدع ونزعها
عن النفوس لهم فلم يتخذوا ذلك صناعة لو لانهم عرفوا ان الاستضرار
بالخوض فيه الاكثر من الانتفاع ولو لانهم كانوا قد حذروا من ذلك وفهموا
تحريم الخوض فيه الجواب الثاني انهم كانوا محتاجين الى محاجة اليهود و
النصارى في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والى اثبات الالهية مع عبدة
الاصنام والى اثبات البعث مع منكريه ثم ما زادوا في هذه القواعد الا قهي
امهات المعاني على ادلة القران فمن افتقر ذلك خلق ومن لم يقنع به قتلوه
وعدلوا الى السيف والسنان بعد افتقاء ادلة القران وساركبوا ظهر اللجاج
في وضع المقاييس العقلية وترتيب المقدمات واستنتاجها وتحرير طرق المجادلة
وتزييف طرقها ومناهجها كل ذلك لعلمهم بان ذلك مثار الفتن ومنبع الشر
والتشويش وان من لا يقنعه ادلة القران فلا يقنعه الا السيف والسنان فما بعد

بينا الله بيان على انشا منصف ولا ينكر ان حاجة المعالجة تزيد بزيادة المرض
وان لطول الزمان وبعد العهد عن عصر النبوة تاثيرا في اثارة الاشكالات
وان للعلاج طريقين احدهما الخوض فيه والبيان والبرهان والثاني يصلح
واحدا فتدبر اثنان فان صالحا بالاضافة الى الاكياس وفساده بالاضافة
الى البله وما اقل الاكياس واكثر البله والعنايه بالاكثرين اولى الطريق
الثاني طريق السلف في الكف والسكوت والعدول الى الدرة والسوط
والسيوف وذلك مما ينفع الاكثرين وان كان ينفع الاقلين وايتا قناعر
ان من يسترق من الكفار تالامة والعبيد تراهم يسلمون تحت ظلال
السيوف ثم يستمرون عليه حتى يصير طوعا ما كان في البداية كرها ويصير
اعتقادا جزما ما كان في الابتداء مراءة وشكا وذلك بمشاهدة اهل الدين
والموانستة بهم وسماع كلام الله ورؤية الصالحين وقد ابن من هذا الجنس
تناسب طباعهم مناسبة اشد من مناسبة الجدل والدليل واذا كان كل واحد
من العلاجين يناسب قوما دون قوم وجب ترجيح الانفع في الاكثر
فالمعاصرون للطبيب الاول المؤيد بروح القدس الكاشف من الحضرة الالهية
الموحى اليه من الخبير المبصر باسرار عباده وبواطنهم اعرف بالاصوب
والاصلح قطعا فسلوك سبيلهم لا محالة اولى لوظيفة السابقة
التسليم لاهل المعرفة وبيانه ان يجب على العامي ان يعتقد ان ما انطوى
عنه من معاني هذه الظواهر واسرارها ليس منطويا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن الصديق واكابر الصحابة رضي الله عنهم وعن
الاولياء والعلماء الراسخين في العلم وانه انما انطوى عنه لعجزه وقصوره

فلا

١٠٥

فلا ينبغي ان يقيس نفسه غيره ولا يقاس الملك بالحدادين وليس ما يخلو
عنه مخادع العجائز يلزم ان يخلو عنه خزائن الملوك فقد خلق الانسان اشتاتا
متفاوتين كمعادن الذهب والفضة وسائر الجواهر فانظر الى تفاوتها وتباعدها
بينها صورة ولونا وخاصية ونفاسة فكذلك القلوب معادن الجواهر المعارف
فبعضها معدن النبوة والولاية والعلم ومعرفة الله تعالى وبعضها معدن الشهوات
البهيمية والاخلاق الشيطانية بل يزكى الناس يتفاوتون في الحرف والصناعات
فقد يقدر الواحد لخفة يده وحذاقة صناعته على امور لا يطمع الاخر في بلوغ
اوايلها فضلا على غايتها ولو اشتغل بتعليمه جميع عمره فكذلك معرفة الله بل كما
ينقسم الناس الى جبان عاجز لا يطيق النظر الى نظام امواج البحر وان كان
على ساحله والى من يطيق ذلك لكن لا يطيق رفع الرجل عن الارض اعتمادا على
السباحة والى من يطيق السباحة الى حد قريب من الشط لكن لا يطيق خوض
لجة البحر والمواضع المزلقة الخطرة والى من يطيق ذلك لكن لا يطيق الغوص
في عمق البحر الى مستقر الذخائر فيه نفائسه وجواهره فهكذا مثال بحر المعرفة
وتفاوت الناس فيه مثله حذو القذة بالقذة من غير فرق فانه قيل فالعارفون
يحيطون بكمال معرفة الله حتى لا ينطوي عنهم شيء قلنا هيهات فقد بينا بالبرهان
القطعي في كتاب المقصد الاسنى في معاني اسماء الله الحسنى انه لا يعرف الله كنه
معرفته الا الله وان الخلائق وان اتسعت معرفتهم وغزر علمهم فاذا اضيف
ذلك الى علم الله تعالى وتقدس لم يعلم الا قليلا لكن ينبغي ان يعلم ان الحضرة الالهية
بكمالها في الوجود ليس في الوجود الا الله وافعاله فالكل من الحضرة الالهية
كما ان جميع ارباب الولايات في العسكر حتى الحراس هم من العسكر وهم من جملة

لعله الاسنى

الحضرة السلطانية وانت لا تقوم الحضرة الالهية الا بالتمثيل بالحضرة السلطانية فاعلم
ان كلما في الوجود داخل في الحضرة الالهية ولكن كما ان السلطان لم في مملكته قصر
خاص في فضاء قصره ميدان واسع ولذلك الميدان عتبة يجتمع عليها جميع الرعايا
ولا يمكنون من مجاوزة العتبة ولا الى طرف الميدان ثم يؤذن لخواص المملكة
في مجاوزة العتبة ولا الى طرف الميدان والجلوس فيه على تفاوت في القرب والبعد
بحسب مناصبهم وهم لم يطرق القصر الخاص الا الوزير وحده ثم ان الملك يطلع
الوزير من اسرار ملكه على ما يريد ويستأثر عنه بامور لا يطلعه عليها فكذلك فافهم
على هذا المثال تفاوت الخلق في القرب من الحضرة الالهية والعتبة التي هي آخر
الميدان موقف جميع العوام ومردهم لا سبيل لهم الى مجاوزتها فان جاوزوا
حدهم استوجبوا الزجر والتنكيل واما العارفون فقد جاوزوا العتبة وانسرحوا
في الميدان ولهم جولات على حدود مختلفة في القرب والبعد وتفاوت ما بينهم
كثير وان اشتركوا في مجاوزة العتبة ونقدموا على العوام المحجوبين على الباب
اذ حظيرة القدس في صدر الميدان فمتى على من ان يطأها اقدام العارفين وارفع
من ان يمتد اليها ابصار الناظرين بل لا يبلغ ذلك الجناب الرفيع صغير ولا
كبير الا غض من الدهش والحيرة طرفه فانقلب اليه البصر خاسئا وهو حسير
فهذا ما يجب على العامي ان يؤمن به جملة وان لم يحط به تفصيلا فهذه هي
الوظايف السبعة الواجبة على عوام الخلق في هذه الاخبار التي سئلت عنها
وهي حقيقة مذهب السلف والان تشتغل باقامة الدليل على ان الحق في
هو مذهب السلف الباب الثاني في اقامة البرهان على ان الحق مذهب
السلف وعليه برهانان عقلي وسمعي اما العقلي ففنان كلي وتفصيلي

اما

اما البرهان الكلي على ان الحق مذهب السلف ينكشف بتسليم اربعة اصول
هو مسلمة عند كل عاقل الاول انا نعرف الخلق بصلاح احوال العباد بالاضافة
الى حسن المعاد هو النبي صلى الله عليه وسلم فان ما ينفع في الآخرة او يضر
لا سبيل الى معرفته بالتجربة كما عرف الطب اذ لا مجال للعلوم التجربية الا فيما يشاهد
على سبيل التكرر ومن الذي يرجع من ذلك العالم فاوردك بالمشاهدة ما نفع
وضر واخبر عنه ولا يدرك بقياس المعقول فان بالمعقول قاصر عن ذلك والعقلاء
باجمعهم معترفون بان العقل لا يدرك الحياة بعد الموت ولا يرشد الى وجه ضرر
المعاصي ونفع الطاعات لا سيما على سبيل التفصيل والتحديد كما وردت به الشرايع
فاقروا بجملتهم ان ذلك لا يدرك الا بنور النبوة وهي فوق وراء العقل
يدرك بها من امر الغيب في الماضي والمستقبل امور لا على طريق التعريف بالاسباب
العقلية وهذا مما اتفق عليه الاوايل من الحكماء فضلا عن الاولياء من العلماء والراسخين
القاصرين نظرهم على الاقتباس من حضرة النبوة المقرين بقصور كل قوة
سوى هذه القوة الاصل الثاني انه صلى الله عليه وسلم افاض الى الخلق ما اوحي
اليه من صلاح العباد في معادهم ومعاشهم وانه ما كتم شيئا من الوحي ولا اخفاه
وطواه من الخلق فانه لم يبعث الا لذلك فلذلك كان رحمة للعالمين فلم يكن
متهما فيه وعرف ذلك علما ضروريا من قرائن احواله في حرصه على اصلاح الخلق
وشفقته بارشادهم الى صلاح معادهم ومعاشهم ما ترك شيئا مما يقرب به الخلق
الى الجنة ورضا الخالق الا دلهم عليه وامرهم به وحثهم عليه ولا شيئا مما يقربهم
الى النار والى سخط الله الا حذرهم منه ونهاهم عنه وذلك في العلم والعمل جميعا
الاصل الثالث ان اعرف الناس بمعاني كلامه واحراهم بالوقوف على كنهه ومدرك

اسراء الذين شاهدوا الوحي والتنزيل وعاصروه وصحبوه بل لازموه اناء
الليل والنهار مشمرين لفهم معاني كلامه وتلقيه للقبول بالعمل اولا وللنقل الى
من بعدهم ثانيا وللتقرب الى الله سبحانه بسماعه وفهمه وحفظه ونشره وهم الذين
حثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السماع والفهم والحفظ والاداء فقال
نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها واداها كما سمعها الحديث فليت شعري اينهم
الرسول صلى الله عليه وسلم باخفائه وكتمانه عنهم حاشى منصب الرسول صلى الله
عليه وسلم عن ذلك لم يتهم اولئك الاكابر في كلامه واداء مقاصده او يتهمون
في اخفائه وستره بعد الفهم او يتهمون في معاندته من حيث العمل ومخالفته على سبيل
المكابرة مع الاعتراف بتفهيمه وتكليفه فهذه امور لا تتسع لتقديرها عقل
عاقل الاصل الثاني انهم في طول عصرهم الى آخر اعمارهم ما دعوا الخلق الى
البحث والتفتيش والتفسير والتأويل والتعريض لمثل هذه الامور بل بالغوا
في زجر من خاض فيه وسأل عنه وتكلم به على ما سنحكيه عنهم فلو كان ذلك من
الدين او كان من مدارك علم الدين لاقبلوا عليه ليلا ونهارا ودعوا اليه اولادهم
واهليهم ولشمروا عن ساق الجد في تاسيس اصوله وشرح قواعده تشمرا
ابلغ من تشمرهم في تمهيد قواعد الفرائض والمواريث فنعلم بالضرورة من هذه
الاصول ان الحق ما قالوه والصواب ما رأوه لا سيما وقد اثنى عليهم رسول الله
فقال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقال ستفترق
امتي نيفا وسبعين فرقة الناجية منهم واحدة فقيل ومن هم فقال اهل السنة
والجماعة فقيل وما اهل السنة والجماعة فقال ما انا عليه الان واصحابي الثاني
الوجه الثاني وهو التفصيل فنقول ادعينا ان الحق هو مذهب السلف وان

مذهب

مذهب السلف هو توظيف الوظائف السبعة على عوام الخلق في ظواهر
الاخبار المتشابهة وقد ذكرنا برهان كل واحدة منها وهو برهان كونه
حقا فمن يخالف ليت شعري المخالفة في قولنا الاول انه يجب على العامي التقديس
المحض عن الجسمية ومشابهة الاجسام او في قولنا الثاني انه يجب عليه التصديق
والايمان بما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعنى المتكل اراده او في قولنا الثالث
انه يجب عليه الاعتراف بالعجز عن درك حقيقة تلك المعاني او في قولنا الرابع انه
يجب عليه السكوت عن السؤال والخوض فيما هو وراء طاقته او في قولنا الخامس
انه يجب عليه امساك اللسان عن تغيير الظواهر بالزيادة والنقصان والجمع
والتفريق او في قولنا السادس انه يجب عليه كف القلب عن التفكر فيه مع عجزه
عنه وقد قيل لهم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله او في قولنا السابع
انه يجب عليه التسليم لاهل المعرفة من الانبياء والاولياء والعلماء الراسخين فهذه
امور ذكرنا بيانها وبرهانها فلا يقدر على جحدها وانكارها ان كان من اهل
التمييز فضلا من العقلاء والعلماء وهذه هي البراهين العقلية النمط الثاني
البرهان السمعي على ذلك وطريقه ان نقول الدليل على ان الحق مذهب السلف
ان نقيضه بدعة والبدعة مذمومة وضلالة والخوض من جهة العوام في التأويل
والخوض منهم فيه من جهة العلماء بدعة فكان نقيضه وهو الكف عن ذلك
وهو سنة محمودة فها هنا ثلثة اصول احدها ان البحث والتفتيش و
السؤال عن هذه الامور بدعة والثاني ان كل بدعة فهو مذمومة والثالث
ان البدعة اذا كانت مذمومة كان نقيضها وهو السنة القديمة محمودة لا
يمكن النزاع في شيء من هذه الاصول واذا سلم ذلك اتضح ان الحق مذهب

السلف فان قيل لم تنكرون على من لم يمنع كون البدعة مذمومة ولم يمنع كون
البحث والتفتيش فيه بدعة فينازع في الاصلين الاولين وانه لم ينازع في
الثالث لظهوره فنقول الدليل على اثبات الاصل الاول من كون البدعة مذمومة
اتفاق الامة قاطبة على ذم البدعة وزجر المبتدع وتقريره من يعرف البدعة
هذا مفهوم على الضرورة من الشرع وذلك غير واقع في محل الظن وذم
رسول الله صلى الله عليه وسلم البدعة علم بالتواتر بمجموع اخبار يفيد
العلم القطعي جملتها وان كان الاحتمال يتطرق الى احادها وذلك كعلمنا شجاعة
علي وسخاوة حاتم وحب رسول الله عائشة رضي الله عنها وما يجري مجراها
فانه علم قطعا باخبار احاد بلغت في الكثرة مبلغا لا يحتمل كذب ناقلها وان لم
يكن احاد تلك الاخبار متواترة وذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها
بالنواجد واياكم ومحدثات الامور فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة
ضلالة في النار وقال صلى الله عليه وسلم اتبعوا ولا تبتدعوا فانما هلك من كان
قبلكم بما ابتدعوه في دينهم وتركوا سنن آبائهم وقالوا يا رأيهم فضلوا واضلوا
وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات صاحب بدعة فقد فتح على الاسلام فتح
وقال صلى الله عليه وسلم من مشى الى صاحب بدعة ليوقره فقد اغار على
الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم من اعرض عن صاحب بدعة بغضا لله
ملا الله قلبه امنا وايمانا ومن انتهر صاحب بدعة رفع الله له مائة درجة ومن
سلم على صاحب بدعة ولقيه بالبشر واستقبله بما يسره فقد استخف بما
انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل لصاحب

بدعة

بدعة صوما ولا صلوة ولا زكوة ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا و
يخرج من الاسلام كما يخرج السهم من الرمية وكما تخرج الشعرة من العجين
فهذا وامثاله مما يجاوز حد الحصر فاد عما ضرورة ان يكون البدعة من موبقة فان
قيل سلمنا ان البدعة مذمومة ولكن ما دليلكم على الاصل الثاني وهو ان هذه
بدعة والبدعة عبارة عن كل محدث فلم قال الشافعي الجماعة في التراويح بدعة
وهو بدعة حسنة وكذلك خوض الفقهاء في تفاريع الفقه ومناظرتهم فيها
مع ما ابدعوه فيه من نقض وكسر وفساد وضلع وتركيب وفنون مجادلة والتزام
كل ذلك مبدع لم يؤثر عن الصحابة شيء من ذلك فدل ان البدعة المذمومة
ما رفع سنة ماثورة ولا نسلم ان هذا رفع سنة ماثورة ثابتة لكنه بحث عما
خاض فيه الاولون اما اشتغالهم بما هو اهم منه واما لسلامة القلوب في العصر
الاول عن الشكوك والترددات فاستغنوا عن الخوض فيه وخاض فيه من بعدهم
بحدوث الاهواء والبدع ومسيس الحاجة الى ابطالها وانهام منتحليها فالجواب
ان ما ذكروه ان البدعة المذمومة كل محدث وقع سنة فذميته هو الحق وهذه
بدعة رفعت سنة فذميتها اذ كانت سنة الصحابة المنع من الخوض فيه وزجر من
سأل عنه والمبالغة في تأديبه ومنعه وفتح باب السؤال عن هذه المسائل
والخوض من العوام في عز هذه المشكلات على خلاف ما تواتر عنهم وقد
صح ذلك عن الصحابة بتواتر النقل عن التابعين من نقلة الآثار وسير
السلف صخرة لا يتطرق اليها ريب وشك كما تواتر خوضهم في مسايل الفرايض
ومشاوراتهم في احكام الوقايع الفقهية وحصل العلم ايضا باخبار احاد لا ينبغي
الشك الى مجموعها وان تطرق الاحتمال الى احادها كما ذكرناه في ذم البدعة

كما نقل عن عمر رضي الله عنه انه سئل سائل عن اية بين متشابهتين فعلاه بالدرة
وكما روي انه سأل رجل سائل عن القرآن اهو مخلوق قام لا قال ابو هريرة رضي الله
عنه وكنت جالسا عنده لما سئله عن ذلك وهو امير المؤمنين يومئذ فتعجب رضي
الله عنه من قوله واخذ بيده حتى جاء به الى علي رضي الله عنه فقال يا ابا الحسن تسمع
ما يقول هذا الرجل قال وما يقول يا امير المؤمنين فقال الرجل سألته عن القرآن
أمخلوق هو غير مخلوق فوجم علي رضي الله عنه وطأطأ راسه ثم رفع راسه وقال
سيكون لهذا الكلام هذا نبأ في اخر الزمان ولو وليت من امرهم ما واجبت لضربت عنقه و
قد روى عن احمد بن حنبل هذا الحديث عن ابي هريرة فهذا يقوله علي في هذا
السايل بحضور عمر وابي هريرة ولم يقول له ولا احد منهم بلغ ذلك من الصحابة
ولا عرف علي في نفسه ان هذا سؤال عن مسئلة دينية وتعرف بحكم كلام الله سبحانه
وطلب معرفة لصفة القرآن الذي هو المعجزة الدال على صدق الرسول صلى الله عليه
وسلم بل هو الدليل المعرف لاحكام التكليف فلم يسغ حبه طالب هذه المعرفة والسائل
عنه هذا التشديد فانظر الصدق فراسته واشرافه على ان ذلك فرع لباب الفتنة
وان ذلك سينتشر في اخر الزمان الذي هو موسم القتن ومظنتها بوعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانظر الى تشديده وقوله لو وليت ما وليت لضربت عنقه
فتامل ولتنك السادة الاحياء الذين شاهدوا الوحي والتنزيل واطلعوا على
اسرار الدين وحقايقه وقد قال صلى الله عليه وسلم في احدهما لو امر ابعث
لبعثت يا عمر وقال في الثاني انا مدينة العلم وعلي بابها يزجرون السايل
عن مثل هذا السؤال ثم يزعم من بعدهم من المشغوفين بالكلام والمجادلة
ومن لو انفق ملأ ما في الارض جميعا ما بلغ مداهم ولا نصيفات الحق والصواب

فتول

فتولاهذا السوال والخوض في الجواب وفتح هذا الباب ثم يعتقد فينا نحن وفي
عمر وعلي رضي الله عنهما انهما مبطلان هيهات ما ابعده عن التحصيل وما اخلاه
عن الدين من قاس الملائكة بالحدادين بل نحن المجادلين على الخلفاء الراشدين
والسلف الصالحين فاذا قد عرف على القطع ان هذه بدعة مخالفة لسنة
السلف لان الخوض الفقهاء في التفاصيل والتفاريع فان ذلك وان كان محدثا
فليس ذلك مخالفا لسنة السلف فقد نقل عنهم زجر من الخوض فيه بل امعانهم
في الخوض في مسايل الفرايض عرفنا جواز الخوض واما ما ابدع من فنون المجادلات
وهي بدعة مذمومة عند اهل التحصيل ذكرت وجرذمها في كتاب قواعد العقايد
من كتب احياء علوم الدين واما مناظرات تهم ان كان المقصد منها التعارف على البحث
عن مأخذ الشرع ومدارك الاحكام وهي سنة السلف فلقد كانوا يتناظرون
في المسائل الفقهية كما نقل في مسئلة الجد وميراث الام مع الزوج والاب ومسايل
سواها نعم ان ابدعوا الفاظا وعبارات للتنبيه على مقاصدهم الصحيحة
فلا حرج فيها بل هي مباحة لمن يستعيرها ويستعملها وان كان مقصدهم
الافحام دون الافهام والالزام دون الاستفهام فذلك بدعة مذمومة
على خلاف السنة المأثورة الباب الثالث في اصول متفرقة واصول شتى
من هذا الفن ان قال قايل ما الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اطلاق هذه الالفاظ الموهمة مع الاستغناء عنها كان لا يدري انه يوهم
التشبيه ويغلط الخلق ويسوقهم الى الاعتقاد الباطل في ذات الله تعالى وصفاته
وحاشى منصب النبوة ان يخفى عليه شيء من ذلك او عرفه ولكن لا يبالي بجهل
الجهال وضلالة الضلال وهذا بعيد واشنع لانه بعث شارعا شارحا لا مبهما

ملبسا ملغزا هذا الاشكال لم وقع في القلوب حتى جر بعض الخلق الى سوء الاعتقاد
فيه فقالوا لو كان نبيا لعرف الله ولو عرفه لما وصفه بما يستحيل في ذاته
وصفاته وقاد طائفة اخرى الى اعتقاد الظواهر فقالوا لو لم يكن حقا لما
ذكره كذلك مطلقا ولعدل عن هذه الالفاظ الى غيرها او قرنها بما يزيل
الايهام عنها فما سبيل حل هذا الاشكال العظيم وقعه في القلوب الذي يجب
حسيكته في الصدور فالجواب ان هذا الاشكال مخجل عند اهل البصائر وبيانا
ان هذه الكلمات ما جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذكرها فعل
واحدة وانما جمعها الما يلوح الى التشبيه وقد بينا ان يجمعها من التاثير في الايهام
والتلبس على الافهام ما ليس لاحادها المتفرقة وانما هي كلمات لهج بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم في جميع عمره في اوقات متباعدة فاذا اقتصر منها على ما في
القرآن وفي الاخبار النبوية المتواترة رجعت كلها الى كلمات يسيرة معدودة
وان اضيفت اليها الاخبار الصحيحة فهي ايضا قليلة وانما اكثروا بالروايات
الشاذة البعيدة الضعيفة التي لا يجوز الالتفات اليها ثم ما تواتر منها او صح نقلها
عن العدول فهي لحاد كلمات وما ذكر صلى الله عليه وسلم كلمة منها الا مع قرائن و
اشارات ورموز تزيل عنها ايهام التشبيه ادركها الحاضرون المشاهدون فاذا
نقلت الالفاظ مجردة عن تلك القرائن ظهر الايهام واعظم القرائن في زوال
الايهام المعرفة السابقة بتقديس الله سبحانه عن قبول معاني هذه الظواهر ومن
سبقت معرفته بذلك كانت تلك المعرفة كالخبرة له راسخة في نفسه مقارنة لكل
ما يسمع فينحقق به الايهام انحقاقا لا يشك فيه ويعرف هذا بامثلة الاولى ان صلى
الله عليه وسلم سمى الكعبة بيت الله واطلاق هذا يوهم عند الصبيان وعند

من يقرب

من يقرب درجته منهم ان الكعبة وطنه ومستقره ومثواه ولكن العوام الذين
اعتقدوا انه في السماء وان استقراره على العرش يحقق في حقهم هذا الايهام على
وجه لا يشكون فيه فلو قيل لهم ما الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اطلاق هذا اللفظ الموهم المخيل الى الاسماع ان الكعبة مسكنه ووطنه لبادروا
باجمعهم وقالوا انما يوهم هذا في حق الصبيان والحمقى اما من تكرر على سمعه
ان الحق سبحانه مستقر على العرش فلا يشك عند سماع هذا اللفظ انه ليس المراد به
انه مسكنه ومأواه بل يعلم على البديهة ان المراد بهذه الاضافة نوع من التشريف
او معنى سوى ما وضع له لفظ البيت المضاف الى رب وساكنه ليس كان اعتقاده
انه على العرش استوى قرينة افادت علما قطعيا بانه ما اريد بكون الكعبة بيته
انه مأواه وانما يوهم في حق من لم يسبق الى هذه العقيدة وكذلك خاطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الالفاظ جماعة سبقوا الى العلم بالتقديس و
نفي التشبيه وانه منزه عن الجسمية وعوارضها وكان ذلك قرينة مزيلة للايهام
لا يبقى معها شك ولا ايهام وان جاز ان يبقى لبعضهم تردد في تاويله وتعيين
المراد به من جملة ما يحتمله اللفظ ويليق بجلال الله سبحانه مثال ثاني
اذا ردد الفقيه في كلامه لفظ الصورة بين يدي الصبي او العامي فقال صورة
هذه المسئلة كذا وصورة هذه الواقعة كذا ولقد صورت المسئلة في غاية الحسن
ربما يوهم الصبي او العامي الذي لا يفهم معنى هذه المسئلة ان المسئلة شيء لها
صورة في تلك الصورة انف وفم وعين على ما عرف واشتهر عنده من معنى الصورة
المعروفة اما من عرف حقيقة المسئلة وانها عبارة عن علوم مرتبة ترتيبا
مخصوصا فهل يتصور ان يتوهم للمسئلة عينا وانفا وفما وصورة من جنس صورة

الاجسام بل يكفيه معرفة بان المسئلة منزهة عن الجسمية وعوارضها فكذلك
معرفة نفي الجسمية عن حقيقة الالهية وتقديسها عنها يكون قرينة في قلب كل
مستمع مفهمة لمعنى الصورة في قوله خلق ادم على صورته ويتعجب العارفون بتقديسه
عن الجسمية ممن يتوهم لله تعالى الصورة الجسمانية كما يتعجب ممن يتوهم للمسئلة
والواقعة صورة جسمانية ومثالث ثالث اذا قال القايل بين يدي الصبي بغداد
في يد الخليفة رعاظن او توهم ان بغداد هي في اصالي الخليفة وانه قد احتوى عليه براجمه
كما يحتوي على جمرة ومدرة وكذلك كل عامي لم يفهم المراد بلفظ بغداد اما من
علم ان بغداد عبارة عن بلدة كبيرة واسعة الاكناف هل يتصور ان يخطر له ذلك
او يتوهم وهل يتصور ان يعترض على قايله ويقول لم قلت بغداد في يد الخليفة و
هذا يفضي الى الجهل ويوهم خلاف الحق حتى يعتقد ان بغداد يوما ما يصير في حقيقة بغداد
اما من يعلمه فبالضرورة يعلم انه ما اريد بهذا اليد العضو المشتمل على الكف والاصابع
بل معنى اخر ولا يحتاج الى فهم القرينة سوى هذه المعرفة وكذلك جميع الالفاظ
الموهمة في الاخبار يكفي في دفع ايهامها قرينة واحدة وهي معرفة تنزيه الله سبحانه
ومعرفة انه ليس بجسم وليس من جنس الاجسام وهذا اما افصح رسول الله صلى
الله عليه وسلم بتبيانه في اوّل بعثته قبل النطق بهذه الالفاظ مثال رابع
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسائه اطولكن يدا اسرعكن لحاقا بي وكان
بعض نسائه تتعرف الطول بالمساحة ووضع اليد على اليد حتى ذكر لهن انه اراد بذلك
السماحة والجود دون طول العضو وكان صلى الله عليه وسلم ذكر هذا اللفظ مع قرينة
افهم بها ان المراد الجود والتعبير بطول اليد عنه فلما نقل اللفظ مجردا عن القرينة

حصل

حصل منه الايهام فهل كان للاحداث يعترض على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اطلاقه لفظا جهل بعضهم معناه انما ذلك لانه اطلق اطلاقا مفهما في حق
الحاضرين مقرونا مثلا بذكر السخاوة والناقد قد نقل اللفظ كما سمعه ولا ينقل
القرينة اذ كان بحيث لا يمكن نقلها او ظن انه لا حاجة الى نقلها وان من يسمعه
يفهم كما فهم هو لما سمعه وربما لا يشعر ان فهمه انما كان بسبب القرينة فاقتصر على
نقل اللفظ فمثل هذه الاسباب بقية الالفاظ مجردة عن قراينها فقصرت عن
الفهم مع ان قرينة معرفة التقديس تجردها كافية في نفي الايهام وان كانت ربما
لا يكفي في تعيين المعنى المراد به فهذه الدقايق لا بد من التنبيه عليها مثال
خامس اذا قيل بين يدي الصبي ومن يقرب من درجته ممن لم يمارس الاحوال ولا عرف
العادات في المجالس فلان دخل المجمع وجلس فوق فلان يوهم السامع الغبي انه
جلس على راسه او على مكان فوق راسه ومن عرف العادات وعلم ان ما هو اقرب الى
الصدر اعلى في الرتبة وان الفوق عبارة عن العلو يفهم منه انه جلس بجنبه لا فوق
راسه ولكنه جلس اقرب الى الصدر فالاعتراض على من خاطب بهذا الكلام اهل المعرفة
بالعادات من حيث انه يجهل الصبيان او الاعنبيا اعتراض باطل لا اصل له وامثلة
ذلك كثيرة لا تتناهى ومن لا يقنع بالسير لا يزيده الكثير الا بجدا فقد فهمت عن
القطع بهذه الامثلة ان هذه الالفاظ الصريحة انقلبت مفهوماتها عن اوضاعها
الصريحة بمجرد قرينة ورجعت تلك القراين الى معان سابقة ومقرنة فكذلك
هذه الظواهر الموهمة انقلبت عن الايهام بسبب تلك القراين الكثيرة التي بعضها
هي المعارف والواحد منها معرفتهم بانهم لم يومروا بعبادة الاصنام فان من
عبد جسما فقد عبد صنما سواء كان الجسم صغيرا او كبيرا او قبيحا او جميلا

سافلاً وعالياً على الارض وعلى العرش وكان نفي الجسمية ونفي لوازمها معلوماً
لكافتهم على الضرورة باعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمبالغة على
التنزيه لقوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ولقوله فلا تجعلوا لله انداداً
وانتم تعلمون والفاظ كثيرة لا احصرها مع قرائن قاطعة لا يمكن حكايتها وعلم
ذلك علم لا ريب فيه فكان ذلك كافياً في تعريفهم استحالة بدهي عضو مركب
من لحم وعظم او من جسم آخر غيره وكذا في سائر الظواهر لانها لا تدل الا على
الجسمية وعوارضها لو اطلق على الجسم واذا اطلق على غير الجسم علم ضرورة
انه ما اريد به ظاهره بل معنى آخر مما يجوز على الله تعالى متعين ذلك المعنى وربما
لا متعين فهذا ما يزيل هذا الاشكال فان قيل فلم لم ينكروها بالفاظ ناصة عليها
بحيث لا يوهم ظاهرها جهلاً ولا في حق الصبي والعامي قلنا لانه انما كلم الناس
بلغة العرب وليس في لغة العرب الفاظ ناصة على تلك المعاني وكيف يكون في
اللغة لها نصوص وواضع اللغة لم يفهم تلك المعاني فكيف يضع لها النصوص بل هي
معان ادركت بنور النبوة ظاهرة او بنور العقل بعد طول النظر والبحث وذلك ايضاً
في بعض تلك الامور لا في كلها فلما لم يكن لها عبارات موضوعة كان استعارة الالفاظ
من موضوعات اللغة ضرورة في حق كل ناطق بتلك اللغة كما لا يستغني عن ان يقول
صورة هذه المسئلة كذا وهي تخالف صورة المسئلة الاخرى وهي مستعارة من
الصورة الجسمانية ولكن واضع اللغة لما لم يضع لهيئة المسئلة وخصوص ترتيبها
اسماً ناصاً اما لانه لم يفهم المسئلة وحقيقتها او فهمها ولكنه لم يحضره او حضره لكنه
لم يضع لها لفظاً خاصاً اعتماداً على امكان الاستعارة او لانه علم انه عاجز
عن ان يضع لكل معنى لفظاً خاصاً نصاً لان المعاني غير متناهية العدد والموضوعات

بالضرورات

بالضرورات يجب ان تتناهى فيبقى معان لا نهاية لها بحسب ان يستعار اسمها
من الموضوع فاكتفى بوضع البعض وسائر اللغات اشد قصوراً من لغة
العرب فهذا واشباهه من الضرورة تدعوا الى الاستعارة لمن يتكلم بلغة قوم
اذ لا يمكنه ان يخرج عن لغتهم كيف ونحن نجوز الاستعارة حيث لا ضرورة اعتماداً
على القرائن فانا لا نفرق بين ان يقول القايل جلس زيد فوق عمرو وبين ان
يقول جلس اقرب منه الى الصدر وان بغداد في ولاية الخليفة او في يده اذا كان
الكلام مع العقلاء وليس في الامكان حفظ الالفاظ عن اوهام الصبيان والجهال
والاشتغال بالاحتراز عن ذلك ركاكة في الكلام وسخافة في العقل وثقل في
اللفظ فان قيل فلم لم يكشف الغطاء عن ذات الله تعالى ولم يقل انه الموجود
الموجود ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا هو داخل العالم ولا خارج ولا هو متصل
ولا منفصل ولا هو في مكان ولا جهة بل الجهات كلها خالية عنه كذلك كاشفصح عنه
المتكلمون ممكن ولم يكن في عبارته صلى الله عليه وسلم قصور ولا في رغبته عن كشف
الحق فتور ولا في معرفته نقصان بحال قلنا من اين لك هذا حقيقة الحق اعتذر
بان هذا لو ذكره لنفر الناس عن قبوله ولبادروا بالانكار وقالوا هذا عين
المحال ووقعوا في التعطيل ولا خير في تنزيه ينتج التعطيل في حق الكافة الا
الاقلين وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم داعياً الخلق الى سعادة الآخرة
رحمة للعالمين فكيف ينطق بما فيه هلاك الاكثرين بل امره ان يكلم الناس
الا على قدر عقولهم وقال صلى الله عليه وسلم من حدث الناس بحديث
لا يفهمونه كان فتنة على بعضهم ولفظ هذا معناه فان قيل ان كان في
المبالغة في التنزيه خوف الفتنة والتعطيل بالاضافة الى البعض ففي استعمال

الالفاظ الموهمة خوف التشبيه بالاضافة الى البعض قلنا بينها فرق من وجهين
احدهما ان ذلك يدعو الى التعطيل في حق الاكثرين وهذا يدعو الى التشبيه في
حق الاقلين واهون الضررين اولى بالاحتمال واعم الضررين اولى بالاجتناب
والثاني ان علاج وهم التشبيه اسهل من علاج التعطيل اذ يكفي ان يقال
مع هذه الظواهر ليس كمثله شيء وانه ليس بجسم ولا مثل الاجسام واما
اثبات كموجود في الاعتقاد على ما ذكرناه من المبالغة في التنزيه شديد جدا
لا يقبله واحد من الف لا سيما الامة الامية العربية فان قيل فلم خجل الناس
عن الفهم هل يجب عند الانبياء ان يثبتوا في عقايدهم امورا على خلاف ما
هي عليها ليثبت اعتقادهم اصل الالهية حتى يتوهموا عندهم مثلا ان الله مستقر
على العرش وانه ساكن في السماء وان فوقهم فوقية المكان لا فوقية الرتبة قلنا
معاذ الله ان يظن ذلك او يتوهم بنبي صادق ان يصف الله سبحانه بغير ما
هو متصف به وان يلقي ذلك في اعتقاد الخلق لا بل تاثير قصور الخلق في ان
يذكر لهم ما يطيقون فهمه وكيف عنهم ما لا يفهمونه فلا يعرفهم بل يمسك عن ما
واما ينطق بر مع من يطيقه ويفهمه ويحصل في ذلك عجز الخلق وقصورهم
والضرورة في تفهيمهم خلاف الحق قصدا لا سيما في صفات الله تعالى نعم
بضرورة في استعمال الفاظ مستعارة ربما لا يغلط الاغبياء في فهمها وذلك
لقصور اللغات وضرورة المحاورات فاما تفهيم خلاف الحق قصدا الى التجهيل
فمحال سواء فرض فيه مصلحة او لم يفرض فان قيل فقد جهل اهل التشبيه جهلا
يستند الى الفاظر والفاظر في الظواهر تقضي الجهلهم ورضي به فهما جابه
بلفظ مجمل ملبس ورضي به لم يفترق الحال بين ان يكون مجردا قصده الى التجهيل وبين

ان لا يقصد التجهيل مهما حصل التجهيل وهو عالم به وراض قلنا لا نسلم ان جهل
اهل التشبيه حصل بالفاظر بل بتقصيرهم في كسب معرفة التقديس وتقديمه
على النظر في الالفاظ ولو حصلوا تلك العلوم التي كلفوها وقدموها على البحث
عن الالفاظ لما جهلوا كما ان من حصل علم التقديس لم يجهل عند سماعه ان الكعبة
بيت الله ومن حصل العلم بحقيقة المسألة لم يجهل عند سماعه ان صوم
المسألة كذى والواجب عليهم تحصيل هذا العلم ثم مراجعة العلماء اذا اشكلوا
في ذلك ثم كف النفس عن التاويل والزامها التقديس اذا رسم لهم العلماء
ذلك فاذا لم يفعلوا جهلوا وعلم الشارع بان الناس من طباعهم الكسل
والتقصير والخوض فيما ليس من شانهم ليس رضي بذلك ولا سعي
في تحصيل الجهل ولكنه رضي بقضاء الله وتقديره وقسمته حيث قال وتمت
كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال ولو شاء ربك لامن من في الارض
الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الآية ولو شاء ربك لامن من في الارض
كلهم جميعا الآية وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله فهذا هو القهر الالهي
في خطرة الخلق ولا قدرة للانبياء في تغيير سنته لا تبديل لها

فصل

لعلك تقول الكف عن السؤال والامساك عن الجواب من اين يغني وقد شاع
في البلاد هذه الاختلافات وظهرت التعصبات فكيف سبيل الجواب الماسئل
عن هذه المسايل قلنا الجواب ما قاله مالك رضي الله عنه في مسئلة الاستواء
اذ قال الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة
فتذكر هذا الجواب في كل مسئلة يسئل عنها العوام ليختم سبيل الفتنة ولا
يقع العوام في ورطة الخطر فان قيل فاذا قال القايل ما قولكم في الاستواء

والعوف واليد والاصبع فماذا تجيب قلنا سبيل الجواب ان نقول الحق فيه
ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم وقال الله سبحانه وقد صدق حيث قال
الرحمن على العرش استوى ونعلم قطعا انه ما اراد الجلوس والاستقرار الذي هو
حظ الاجسام ولم ندر ما الذي اراده ولم نكلف معرفته وقد صدق حيث قال
وهو القاهر فوق عباده وفوقيته المكان محال فانه كان قبل المكان وهو الان
على ما عليه كان واذا لم يرد هذا قلنا والذي اراده ما نعرفه وليس علينا وعليك
ايها السائل معرفته وكذلك نقول لا يجوز اثبات اليد والاصبع مطلقا بل يجوز
النطق بما نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي نطق به من غير
زيادة ولا نقصان وجمع وتفريق وتاويل وتفسير فنقول صدق حيث قال خمر
طينة ادم بيده وحيث قال قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
فنؤمن بذلك ولا نزيد ولا ننقص ونتقل كما روي ونقطع بنفي العضو المركب
من اللحم والعصب والدم وسائر الاجسام واذا قيل القران قديم او مخلوق
قلنا غير مخلوق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم القران قديم غير مخلوق فان قيل
الحروف قديمة ام لا قلنا في الجواب ان هذه المسئلة لم يذكرها الصحابة ولم
يخوضوا فيها والخوض فيها بدعة فاذا سئلوا عنها فان بلي الانسان في بلد
قد غلبت الحشوية فيه وكعوا من ان يقول بقدم الحروف فيقول المضطر الى
الجواب ان عنيت بالحروف نفس القران فالقران قديم وان اردت به غير القران
وصفات الله تعالى فما سوى الله وصفاته محدث ولا يزيد عليه لان تفهيم العوام
حقيقة هذه المسئلة عسر جدا فان قالوا فقد قال عليه الصلوة والسلام
من قرأ حرفا من القران فله كذا فاثبت الحرف في القران ووصف القران بانه

غير

غير مخلوق فيلزم منه ان الحروف قديمة قلنا لا تزيد على ما قال الرسول
صلى الله عليه وسلم وهو ان القران غير مخلوق فهذه مسئلة واما في القران
حروف او هذه مسئلة واما ان الحروف قديمة هذه مسئلة ثالثة ولم يرد
فلا نقول به ولا نزيد على ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم فان زعم انه يلزم
من المسئلة السابقة هذه المسئلة الثالثة قلنا هذا قياس التفريع وقد
بينا انه لا سبيل الى القياس والتفريع بل يجب الاقتصار على ما ورد من غير تفريع
وكذلك اذا قالوا عربية القران قديمة لانه قال القران قد نزلناه قرانا عربيا
انا انزلناه قرانا عربيا فالعربي قديم فنقول اما ان القران عربي محض
فحق اذ نطق به الرسول عليه الصلوة والسلام واما ان عربية القران قديمة
فهذه مسئلة ثالثة لم يرد فيها انها قديمة فلا يلزم القول بها فعلى هذا الوجه
تلجم العوام والحشوية عن التصرف فيه ونرفيهم عن القياس والقول في اللوازم
بل نزيد في التضييق على هذا فنقول اذا قال القران كلام الله غير مخلوق
فهذا لا يرخص في ان نقول ان القران حق لم نرد لفظ القديم اذ فرق
بين القديم وغير المخلوق اذ يقال كلامي فلان غير مخلوق او غير موضوع وقد
يقال المخلوق بمعنى المختلق ولفظ غير المخلوق يتطرق اليه هذا ولا يتطرق الى
لفظ القديم فبينهما فرق ونحن نعتقد قدم القران لا بمجرد هذا اللفظ فان هذا
اللفظ لا ينبغي ان يحرف ويبدل ويفسر ويصرف بل يلزم ان يعتقد ان حق بالمعنى
الذي اراده وكل من وصف القران بانه مخلوق من غير نقل نص فيه مقصود فقد
ابدع وزاد وقد انحرف عن مذهب السلف وحاد فصل فان قيل من
المسائل المعروفة قولهم ان الايمان قديم فاذا سئلنا عنه فماذا نجيب قلنا

ان ملكنا زمام الامر واستولينا على السايل منعناه عن هذا الكلام السخيف
الذي لا حد ولم ولم ونبينا ان هذا بدعة وان كنا مغلوبين في بلادهم فنجيب
ونقول لما الذي اردت بالليمان ان اردت به شيئا من القران او من صفات
الله سبحانه فجميع صفات الله قديمة وان اردت شيئا من مخلوقاته
صفاتهم فجميع صفاتهم مخلوقة وان اردت ما ليس صفة للخلق ولا صفة للخالق
فهو غير مفهوم ولا متصور ولا يفهم ولا يتصور ذاته كيف يفهم حكمه في القدم
والحدث والاصل زجر السائل والسكوت عن الجواب هذا صفة مذهب السلف
فلا عدول عنه الا لضرورة وسبيل المضطر ما ذكرناه فان وجدنا ذكيا مستعدا
للحقايق كشفنا الغطاء عن المسئلة وخلصناه عن الاشكال في القران وقلنا
لله كل شيئ فله في الوجود اربع مراتب وجود في الاعيان ووجود في الاذهان
ووجود في اللسان ووجود في البياض المكتوب عليه كالنار مثلا فان لها وجود
في التنور ولها وجود في الخيال والذهن واعني بهذا الوجود العلم بصورة
النار وحقيقتها ولها وجود في اللسان وهي الكلمة الدالة عليها اعني لفظ النار
ولها وجود في البياض المكتوب عليها بالرقوم والاحراق صفة خاصة للنار
كالقدم للقران ولكلام الله سبحانه والمحرق من هذه الجملة التي في التنور دون
الذي في الاذهان وفي اللسان وعلى البياض اذ لو كان المحرق في البياض واللسان
لاحرق ولكن لو قيل لنا النار محرقة قلنا نعم فان قيل لنا كلمة النار محرقة
قلنا لا فان قيل حروف كلمة النار محرقة وهي النون والالف والراقلنا لا وان
قيل فرقوم هذه الحروف على البياض محرقة قلنا لا فان قيل المذكور بكلمة النار
والمكتوب بكلمة النار محرق قلنا نعم لان المذكور والمكتوب بهذه الكلمات

مانى التنور ومانى اللسان محرق فكذلك القدم وصف الله سبحانه كالاحراق
وصف للنار وما يطلق عليه اسم القران وجوده على اربع مراتبا ولها وهي
الاصل وجود قايم بذات الله سبحانه ايضا هي وجود النار في التنور ولله المثل
الاعلى لكن لابد من هذه الامثلة في تفهيم العجزة والقدم وصف خاص لهذا
الوجود والثانية وجوده العلمي فاذهاننا عند التعلم قبل ان تنطق بلساننا
ثم وجوده في لساننا بتقطيع اصواتنا ثم وجوده في الاوراق بالكتبة فاذا
سئلنا عما في اذهاننا من علم القران قبل النطق به قلنا علمنا صفتنا وهي
مخلوقة لكن المعلوم به قديم كما ان علمنا بالنار وبثبوت صورتها في خيالنا
غير محرق لكن المعلوم به محرق فاذا سئلنا عن حركة لساننا ونطقنا قلنا
ذلك صفة لساننا ولساننا حادث فصوته وجد بعده وما هو بعد الحادث
حادث بالضرورة ولكن منطوقنا ومذكورنا ومقروئنا ومتلوئنا بهذه
الاصوات الحادثة قديم كما اذا ذكرنا حروف النار بلساننا كان المذكور
بهذه الحروف محرقا واصواتنا وتقطيع اصواتنا غير محرق الا ان يقول
قايل حروف النار عبارة عن نفس النار قلنا ان كان كذلك فحروف النار
محرقة وحروف القران ان كان عبارة عن نفس المقروء في قديمة وكذا
المخطوط برقوم النار والمكتوب به محرق لان المكتوب هي النار واما الرقم
الذي هو صورة النار غير محرق فانه في الاوراق من غير احراق واحتراق
فهذه اربع درجات في الوجود تشكل على العوام ولا يمكنهم ادراك فهم
تفاصيلها وخاصة كل واحد منها فلذلك لا نخوض بهم فيها لا يجهلنا بحقيقة
هذه الامور وكنه تفاصيلها ان النار من حيث انها في التنور توصف بانها

محرقة وخامدة ومشتعلة ومن حيث انها في اللسان توصف بانها عجمي وتركي وعربي
وكثير الحروف وقليله وما في التنور لا ينقسم الى العربي والتركي وما في اللسان لا
يوصف بالخمود والاشتعال واذا كان مكتوبا على البياض يوصف بانه احمر واخضر و
اسود وانه مخطط بقلم المحقق او الثلث او الرقاع او قلم النسخ وهو في اللسان
لا يمكن ان يوصف بذلك واسم النار يطلق على ما في التنور وما في القلب وما في
اللسان وما في القرطاس لكن باشتراك الاسم فاطلق على ما في التنور حقيقة وعلى
ما في الذهن من العلم لا بالحقيقة لكن بمعنى انه صورة محاكية للنار كما انك ترى في
المرآة تسمي انسانا ونارا لا بالحقيقة لكن على معنى انها صورة محاكية للنار الحقيقي
والانسان وما في اللسان من الكلمة تسمى باسم بمعنى ثالث وهو انه دلالة دالة على ما
في الذهن وهذا يختلف باصطلاحات والاولى والثاني لا اختلاف فيه وما في القرطاس
يسمى نارا بمعنى رابع وهو انها رقوم تدل باصطلاح على ما في اللسان ومهما فهم
اشتراك اسم القرآن والنار وكل شيء من هذه الامور الاربعة فاذا ورد في الخبر
ان القرآن في قلب العبد وانه في المصحف وانه في لسان القاري وانه صفة في ذات الله
تعالى صدق بالجميع وفهم معنى الجميع ولم يتناقض عند الذكي وصدق بالجميع
مع الاحاطة بحقيقة المراد وهذه امور جلية دقيقة لا اجلى منها عند اللفظ
الذكي ولا ادق واغمض منها عند البليد الغبي فحق البليد ان يمنع من الخوض فيه
ويقال له قل القرآن غير مخلوق واسكت ولا ترد عليه ولا تنقص ولا تفتش عنه ولا
تبحث عنه واما الذكي فيرفع عنه غمة هذا الاشكال ويوصى باه لا يحدث العامي
وان لا يكلفه بما ليس في طاقته وهكذا جميع مواضعات الاشكالات في الظواهر
فيها حقيقة جلية لارباب البصائر ملتبسة على العميان من العوام ولا ينبغي ان يظن

باكابر

باكابر السلف عجزهم عن معرفة هذه الحقيقة وانهم لم يحرروا الالفاظ تحريرا صنعة
ولكنهم عرفوه وعرفوا عجز العوام فسكتوا عنه واسكتوهم وذلك عين الحق و
الصواب ولا اعني باكابر السلف الاكابر من حيث الجاه والاشتهار لكن من حيث
الغوص على المعاني والاطلاع على الاسرار وعند هذا ربما انقلب الامر في حق العوام
واعتقدوا في الاشهر انه الاكبر وذلك سبب اخر من اسباب الضلال **فصل**
فان قال قايل العامي اذا منع من البحث والنظر لم يعرف الدليل ومن لم يعرف الدليل
كان جاهلا بالمدلول وقد امر الله سبحانه كافة عباده معرفتاي بالايمان به
والتصديق بوجوده اولا وبتقديسه عن سمات الحوادث ومشابهته غيره
ثانيا وبوحدانيته ثالثا وبصفاته من العلم والقدرة ونفوذ المشيئة
وغيرها رابعا وهذه الامور ليست بضرورية فهي اذا مطلوبة وكل مطلوب
فله سبيل الطاقتناصه وتحصيله الا بشبكة الادلة فلا بد من النظر في الادلة
والتفطن لوجوه دلالتها على المطلوب وكيفية انتاجها له وهذا لا يتم الا
بمعرفة شروط البراهين وكيفية ترتيب المقدمات واستنتاج النتايج
ويستخرج ذلك بالضرورة شيئا فشيئا الى تمام البحث واستيفاء علم
الكلام الماخر النظر في المعقولات وكذلك يجب على العامي ان يصدق
في كل ما جاء به وصدقه ليس بضروري بل هو بشر كسائر الخلق فلا بد من دليل
غير عن غيره من تحدى بالنبوة كاذبا ولا يمكن ذلك الا بالنظر في معجزته و
معرفة حقيقة المعجزة وشروطها الماخر النظر في النبوات وهو لب علم الكلام
قلت الواجب على الخلق الايمان بهذه الامور والايمان عبارة عن تصديق
جازم لا تردد فيه ولا يشعر صاحبه بجواز وقوع الخطا فيه وهذا التصديق

يحصل على ست مراتب الاولى وهي اقصاها ما يحصل بالبرهان المستقصى
المسنو في شروط المحررة اصولا ومقدماتة درجة درجة وكلمة كلمة حتى لا يبقى
مجال احتمال وتمكن التباس وذلك هو الغاية القصوى وربما يتفق ذلك في كل عصر
لواحد او اثنين ممن ينتهي الى تلك الرتبة وقد يخلو العصر عنه ولو كانت النجات
مقصورة على مثل تلك المعارف لقلة النجاة وقلّ الناجون الثانية ان يحصل
بالادلة الرسمية الكلامية المبنية على امور مسلمة تصدق بها لاشتهارها بين
اكابر العلماء وشناعة انكارها ونفرة النفوس عن ابداء المراء فيها وهذا
الجنس ايضا يفيد في بعض الامور وفي حق بعض الناس تصديقا جازما بحيث
لا يشعر صاحبه بامكان خلافه اصلا الثالثة ان يحصل التصديق بالادلة
الخطابية التي جرت العادة باستعمالها في المحاورات والمخاطبات الجارية في العادات
وذلك يفيد في حق الاكثرين تصديقا بيادي الراي وسابق الفهم اذا لم
يكن الباطن مشحونا بتعصب وبرسوخ اعتقاد على خلاف مقتضى الدليل ولم
يكن المستمع متصفا بتكلف المماراة والتشكيك ومتهجما بتخديق
المجادلين في العقايد واكثر ادلة القران من هذا الجنس فان الدليل الظاهر
المفيد للتصديق قولنا لا ينتظم تدبير المنزل بمدبرين ولو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا وكل قلب باق على الفطرة غير مشوش بمماراة المجادلين
يسبق من هذا الدليل الى فهمه تصديق جازم بوحدانية الخالق لكن
بوسوسة مجادل فقال لم يجب ان يكون العالم بين الهين يتوافقان
ويتعاونان على التدبير ولا يختلفان فاستماع هذا القدر يتشوش عليه
تصديقه ثم ربما تفسر حل هذا السؤال ودفعه في حق بعض الافهام القاصرة

فيتولى

فيتولى الشك ويتعذر الرفع وكذلك من الجلي ان من قدر على الخلق هو على
الاعادة افتركما قال تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة فهذا لا يسمعه
احد من العوام ذكي او غبي الا ويبادر الى التصديق ويقول نعم ليست الاعادة
باعسر من الخلق في الابتداء بل هي اهون ويمكن ان يشوش عليه بسؤال ربما
يعسر عليه فهم جوابه والدليل المستوفى هو الذي يفيد التصديق بعد تمام الاسئلة
وجوابها بحيث لا يبقى للسؤال مجال والتصديق يحصل قبل ذلك الرابعة التصديق
بمجرد السماع ممن حسن في الاعتقاد بسبب كثرة ثناء الخلق عليه فان من
حسن اعتقاده في ابيه واستاذه او في رجل من الافاضل المشهورين قد يخبره
عن شيء كموت رجل وقدوم غايب وغيره فيسبق اليه اعتقاد جازم وتصديق
بما اخبر عنه بحيث لا يبقى لغيره مجال في قلبه ومستنده حسن اعتقاده فيه
فالمجرب بالصدق والورع والتقوى مثلا الصديق رضي الله عنه اذا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كذبي فكم من مصدق به جزما وقابل به قبولا مطلقا
ولا مستند لقبوله الا حسن اعتقاده فيه فمثله اذا القى العلي اعتقادا وقال
له اعلم ان خالق العالم واحد وانه عالم قدير وانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
رسولا بادر الى التصديق ولم يخالجه ريب وشك في قوله وكذلك اعتقاد
الصبيان في ابائهم ومعلميهم فانهم يسمعون الاعتقادات ويصدقون به
ويستمرون عليه من غير حاجة الى الدليل الخامسة التصديق الذي يسبق اليه
العلم عند سماع الشيء مع قرائن احوال لا يفيد القطع عند المحقق ولكن يلقى
في قلوب العوام اعتقادا جازما كما انا نسمع بالتواتر مرض رئيس البلد ثم
ارتفع صريخ وعويل من داره ثم سمع من احد من غلمانه قدمات اعتقد

العامي جزما انه مات وبنى عليه تدبيره ولا يخطر ببال العلام ربما قال
ذلك عن ارجاف سمعه وان الصراخ والعويل لعلة عن عشيته او شدة مرض
او سبب اخر لكن هذه الخواطر بعيدة لا تخطر للعوام فينطبع في قلبه الاعتقادات
الجازمة وكم من اعرابي نظر الى حسن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والى
حسن كلامه ولطف شمايله واخلاقه فامن به وصدقه تصديقا جازما
لم يخالجه ريب من غير مطالبة معجزة يقيمها وذكر وجه دلالتها السادسة
ان يسمع القول فينا سب طبعه واخلاقه فينبادر الى التصديق بمجرد موافقته
لطبعه لا من حسن اعتقاده في قايله ولا من قرينة تشهد له لكن لمناسبته مافي
طباعه كالحريص على موت عدوه وقتله وعزله يصدق بجميع ذلك باد نى ارجاف
ويستمر على اعتقاده جازما وان اخبر بذلك في حق صديقه او نبي مما يخالف
شهوته وهواه توقف فيه او اباه كل الاباء وهذه اضعف التصديقات وادنى
الدرجات لان ما قبله استند الى دليل ما وان ما كان ضعيفا من قريب او حسن
اعتقاده في المخبر او نوع من ذلك فهذه امارات يظنها العامي ادلة فيعمل
في حقه عمل الادلة واذا عرفت مراتب التصديق فاعلم ان مستند ايمان العوام
هذه الاسباب واعلى الدرجات في حق ادلة القرآن وما يجري مجراه مما
يحرك القلب الى التصديق فلا ينبغي ان يجاوز بالعامي الى سماع ادلة القرآن
وباقي معناه من الجليات المقنعة المسكنة للقلوب المستحثة لها الى الطمانينة
والتصديق فاوراء ذلك ليس على قدر طاقته واكثر الناس اسنوا في الصبي
وكان سبب تصديقهم مجرد التقليد لاباءهم ومعلميهم لحسن ظنهم بهم
وكثرة ثنائهم على انفسهم وثنائهم عليهم وتشديد النكير بين ايديهم

على

على مخالفيهم وحكايات انواع النكال النازل بمن لا يعتقد اعتقادهم وقولهم
ان فلان اليهودي مسخ في قبره كلبا وفلان النصراني انقلب خنزيرا وحكايات
ومنامات واحوال من هذا الجنس ينغرس بها في نفوس الصبيان النفرة
عنه والميل الى ضده حتى ينزع السكك بالكلية عن قلبه فالتعلم في الصغر
الا كالنقش على الحجر وتوقع تنشوه عليه فلا يزال يريد ذلك في قلبه فاذا
بلغ استمر على اعتقاده الجازم وتصديقه المحكم الذي لا يخالجه فيه ريب
وكذلك يرى اولاد النصارى والروافض والمجوس والمسلمين كلهم لا يبلغون
الا اعتقاد اباءهم واعتقاداتهم في الحق والباطل جازمة ولو خطوا ارباالما
كانوا عنها ولم يسمعوا عليه دليلا لا حقيقيا ولا رسميا وكذا نرى العبيد والاماء يجمع
من المعترك ولا يعرفون الاسلام فاذا وقعوا في اسر المسلمين وصحبوهم مدة وراوا
ميلهم الى الاسلام مالوا معهم واعتقدوا اعتقادهم وتخلقوا باخلاقهم كل
ذلك بمجرد التقليد والتشبه بالغير والطباع مجبولة على التشبه لا سيما طباع الصبيان
واهل الشباب فبهذا يعرف ان التصديق غير موقوف على البحث وتحرير الادلة
لعلك تقول فكيف حصول التصديق الجازم في قلوب العوام بهذه الاسباب ولكن
ليس ذلك من المعرفة في شيء وقد كلف الناس المعرفة الحقيقية دون اعتقاد هو
من جنس الجهل الا يميز فيه الباطل عن الحق فالجواب انه هذا غلط من ذهب اليه بل
سعادة الخلق في ان يعتقدوا الشيء على ما هو عليه اعتقادا جازما لينتقش
قلوبهم بالصورة الموافقة لحقيقة الحق حتى اذا ماتوا وانكشف لهم الغطاء
فشاهدوا الامور على ما اعتقدوها لم يفتضحوا ولم يحترقوا بنار الخزي
والخجلة اولا وبنار جهنم ثانيا وصورة الحق اذا انتقش في قلبه فلا ينظر

الى السبب المفيد اهو دليل حقيقي او سمي او اقناعي او وقوع الاعتقاد في قلبه
او وقوعه بمجرد التقليد من غير سبب فليس المطلوب الدليل المفيد بالغاية وهي
حقيقة الحق في الله وصفاته وكتبه ورسله واليوم الاخر على ما هو عليه فهو سعيد
وان لم يكن ذلك بدليل محرر كما مر ولم يكلف الله عباده الا ذلك وذلك معلوم
على الضرورة بجملة اخبار متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في موارد
الاعراب عليه وعرضه الايمان عليهم وقبوله ذلك وانصرافهم الى رعاية الابل والمواشي
من غير تكليفه اياهم التفكر في المعجزة ووجوب النظر والتفكر في حدوث العالم و
اثبات الصانع وفي دلالة الروحانية وسائر الصفات بالاجلاف من العرب اكثرهم
لو كلفوا لم يفهموه ولم يدركوه لبعد طول المدة بل كان الواحد منهم يحلف ويقول
والله انك رسول الله ويقول والله ان الله ارسلني رسولا وكان يصدقه بيمينه
وينصرف ويقول الاخر اذا قدم عليه وينظر اليه والله ما هو وجه كذاب وامثال
ذلك مما لا يحصى بل كان يسلم في غزوة واحدة في عصره وعصر صحابته الا قليل الكثرة
منهم ادلة الكلام والتوحيد ومن كان يفهم يحتاج الى ان يترك صنعته ويختلف
الى معلمه مدة مديدة ولم ينقل قط شيء من ذلك فعلم علما ضروريا ان الله
سبحانه وتعالى لم يكلف الخلق الا الايمان والتصديق بما قاله كيف ما حصل التصديق
نعم لا ينكر ان للعارف درجة على المقلد ولكن المقلد في الحق مؤمن كما ان العارف
درجة على المقلد ولكن المقلد في الحق مؤمن فان قلت
فبم يميز المقلد بين نفسه وبين اليهودي المقلد قلت المقلد لا يعرف بالتقليد
ولا يعرف انه مقلد بل يعتقد في نفسه انه محقق عارف فلا يشك في معتقده ولا
يحتاج مع نفسه الى التمييز لقطعه بان خصمه مبطل وهو محق ولعلها يضا

مستظهر

مستظهر بقرائن وادلة ظاهرة وان كانت غير قوية ويرى نفسه مخصوصا
بها ومتميزا بسببها عن خصومه فان كان اليهودي يعتقد في نفسه مثل ذلك
فلا يشوش ذلك على المحق اعتقاده كما ان العارف للناظر ايضا يزعم اني
متميز عنك بالدليل ودعواه ذلك لا يشكك الناظر العارف وكذلك لا يشكك
المقلد القاطع وكيفيه في الايمان ان يشككه في اعتقاده معارضة المبطل كلام
بكلام فهل رأيت عاميا قط اغتم وحزن من حيث يعسر عليه الفرق بين تقليده
وتقليد من يخطر ذلك ببال العوام وان يخطر ببالهم وشوشوا به ضحكوا
من قائله فقالوا لو ما هذا الاهذيان وكان بين الحق والباطل مساواة حتى
يحتاج الى فارق يفرق بيننا انا على الباطل وانى على الحق وانا متيقن لذلك
غير شاك فيه وكيف اطلب الفرق بحيث يكون الفرق معلوما قطعا من غير
طلب فهذه حالة المقلدين الموقنين وهذا اشكال لا يقع لليهودي المبطل
لقطعه مذهبه مع نفسه فكيف يقع للمسلم المقلد الذي وافق اعتقاده
ما هو الحق عند الله فظهر بهذا على القطع ان اعتقادهم جازم وان الشرع
لم يكلفهم الا ذلك فان قيل فاذا فرضنا عاميا جادلا الجوجا ليس يقلد ولا
يقنع التقليد ولا يقنع ادلة القرآن والاقاويل الجلية المتنقلة سابقة
الى الافهام فاذا يصنع بم قلنا هذا مرض في الطبع عن صحة الفطرة وسلامة
الخلقة الاصلية فننظر في شمايله فان وجدنا اللجاج والجدل غالبا عليه
وعلى طبعه لم نجادله وظهرنا وجز الارض عنه ان كان يجادلنا في اصل من
اصول الايمان وان تفرسنا فيه بالفراسة مخايل الرشد والقبول اوجزنا
به من الكلام الظاهر الى ان تدقيق الادلة عالجناه بما قدرنا عليه من ذلك

(٤)١٥٧٩
١٣٠
وقف لله على من ينتفع به من المسلمين

وقف لله تعالى لا يباع ولا يوهب ولا يورث

وداوينا ما بالجدال والمراء والبرهان الجلي وبالجملة فنجتهد ان نجادله بالاحسن
كما امر الله سبحانه ورخصنا في هذا القدر من المداوات لانا لا على فتح باب
الكلام مع الكافر فان الادوية تستعمل في حق المرضى وهم العاقلون وما يعالج
به المريض بحكم الضرورة يجب ان يوقى عنه الصحيح والفطرة الصحيحة الاصلية
مستعدة لقبول الايمان دون المجادلة وتحرير حقايق الادلة وليس الضرر في
استعمال الدواء مع الاصحاء اقل من الضرر في اهمال المداواة مع المرضى فلنوضع
كل شيء في موضعه كما امر الله سبحانه بنبيه صلى الله عليه وسلم حيث قال
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن
والدعوة بالحكمة الى الحق قوم وبالموعظة الحسنة قوم اخر وبالمجادلة بالاحسن
قوم اخر على ما فصلت اقسامهم في كتاب القسطاس المستقيم وقد نجز كتاب
الجام العوام عن علم الكلام والحمد لله وحده ورايت
في الاصل المنقول عنه تلوم الاتمام
مسطورا وهو اخر تصانيف
الشيخ الامام حجة الاسلام
رحمة الله عليه
ثم قال كذا
ذكر
في الاصل
تم

مكتبة مدرسة الفقيهة